مجلة جامعة الملك سعود، م ١٤، الآداب (٢)، ص ص ٢١٥-٢٦٨ (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)

الانتساب إلى الأمهات عند العرب : مقـاربات للتفســير

عبد الرحمن بن إبراهيم الدباسي

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربيـة السـعودية

(قُدِّم للنشر في ٢٩/ ١٠/ ١٤٢٠هـ؛ وقُبِل للنشر في ٢٦/ ١/ ١٤٢١هـ)

ملخص البحث . الأصل أن ينتسب الرجل إلى أبيه أو ينسب إليه، غير أننا، حين نقرأ في كتب الأخبار والأنساب، نجد نفرا من العرب نسبوا إلى أمهاتهم، فيهم الملوك، والخلفاء، والعلماء، والشعراء، وغيرهم. وهذه الظاهرة، وإن تكن موجودة عند العرب - كما تدل على ذلك شواهد البحث - إلا أنها لا تمثل شيئا مذكورا في مقابل من نسبوا من العرب إلى آبائهم. ولم يقف الانتساب إلى الأمهات عند حد العصر الجاهلي، بل تجاوزه إلى عصور إسلامية لاحقة، وهذا هو الذي دعا إلى أن ننكر على نفر من المستشرقين زعمهم أن نظام الأمومة - وهو القائم على الجهالة بالآباء - كان موجودا عند عرب الجاهلية، وأن نتلمس تفسيرات مقاربة لمثل هذا اللون من الانتساب.

نحا بعض المستشرقين نحوا غريبا في النظر إلى بعض الظواهر أو القضايا المتصلة بتاريخ العرب أو حضارتهم، وأديانهم، وعاداتهم، وقيمهم، وغير ذلك مما يتصل بهم. ولعل

ما يضمره بعضهم من محاولة النيل من العرب أو تشويه صورتهم كان وراء كثير من رؤيتنا النظر في هذه القضايا أو الظواهر. وربما صدق في حق هؤلاء قول الشاعر العربي:

إذا رأوا سبة طاروا بها فرحا عني وما علموا من صالحي شغلي

وإذا ما أحسنا الظن ببعض هؤلاء، فإن ما يصدر عنه في غير قليل من كتاباته ونظراتهم في تراث العرب وعقائدهم وتقاليدهم هو محصلة ما نتج عن الجهل بتاريخ العرب وحضارتهم، إذ هم يقيسون العرب في كثير من دراساتهم وأبحاثهم على مجتمعات بدائية منعزلة في أدغال أمريكا اللاتينية أو في مجاهل أفريقيا.

وفي الموضوعات التي تطرق إليها بعض هؤلاء المستشرقين بهذا المنهج موضوع الانتساب إلى الأمهات عند العرب، فحين نظروا في كتب الأنساب التي يرى أن نفرا من العرب قد نسبوا إلى أمهاتهم، فتعلقوا بهذا وفرحوا به وبنوا عليه استنتاجات وأحكاما، وهو أن نظام الأمومة (أي الانتساب إلى الأمهات بسبب انتهاء بالأم) كان شائعا عند العرب، وهم يريدون أن يخلصوا من ذلك إلى التشكيك في عراقة العرب وأصالتهم وانتماء أنسابهم. ولو أنصفوا أو تحروا الحقيقة لعلموا أن الانتساب إلى الأمهات أو النسبة إليهن في هذه الكتب التي نظروا فيها - وهو مصروف بطبوعه وبلا سماته التي سوف نبينها - لا يساوي شيئا في مقابل من نسبوا إلى آبائهم، وأشعار العرب زاخرة بفخرهم بآبائهم واحتفائهم بأصولهم وأعرافهم.

وممن قال بنظام الأمومة عند العرب روبرتسون سميث، ويلكن، إن ذهب إلى أن العرب كانت تتبع في الأزمنة القديمة نظام الأمومة، وهو النظام الذي تكون المرأة فيه ذات صاحبة السيادة والسيطرة في المجتمع، ويكون هذا النظام عادة سائدا في المجتمعات التي يمتهن رجالها الرعي والصيد، ويقضون معظم أوقاتهم خارج بيوتهم، وقد استدل على ذلك بأن المجتمع العربي البدوي كان أهله يمتهنون الرعي والصيد.

واتخذ روبرتسون سميث من تسمي بعض القبائل بأسماء مؤنثة، مثل: المدينة وطابخة، وخندف، وظاعنة، وجديلة، وأمثالها) دليلا على وجود ما يسمى (دور الأمومة) عند العرب. وهو دور لا يكون فيه للنساء أزواج معينون، لأن الزواج لم يكن فيهم بالمعنى المفهوم بين الزوجين عندنا، بل كان الرجل يجتمع بالمرأة ثم يتركها ليجتمع

بامرأة أخرى، فتكون المرأة بهذا قد اتصلت بجملة رجال، كما يكون الرجل قد اتصل بجملة نساء. وإذ كانت المرأة لم تكن تعرف زوجها الذي منه مولودها، ولا يعرف المولود والده، نسب لهذا إلى أمه وعُرف بها.

وبهذا التفسير فسّر سميث ومن ذهب مذهبه من علماء الاجتماع وجود الأسماء المؤنثة عند العرب وعند العبرانيين وعند بقية الساميين. واتخذ سميث من وجود بعض الكلمات في تسلسل أنساب القبائل، مثل: البطن، والفخذ، والصلب، والظهر، والدم، والرحم، دليلا آخر على وجود دور الأمومة عند العرب، لأن لهذه الألفاظ صلة بالجسم، ولهذا كان إطلاقها عند قدماء العرب - على حد قوله - دليلا على علاقتها بجسم المرأة.[١]

وأشار نولدكه إلى أهمية تأنيث أسماء القبائل في تأكيد الأمومة عند العرب.[٢] وقد اتخذ القائلون بنظرية الأمومة من هذه الأسماء دليلا على أهمية هذا العهد في التاريخ الجاهلي القديم.

وقد وافق ويلكن على كثير مما ذهب إليه سميث في تفسير الانتساب إلى الأمهات عند العرب.[٣]

على أن الأدلة التي يسوقها ويلكن وسميت لإثبات ما ذهبا إليه، غير كافية للقبول بوجود نظام الأمومة عند العرب، بل هناك ما ينقض ذلك ويدحضه، فالمجتمع السامي منذ عرف في التاريخ كان يعد الأب هو رأس الأسرة، والبعل أو الزوج هو السيد.[٤] وما جاء عند سميث وويلكن وغيرهما من القائلين بالأمومة عند العرب من الاعتماد على ألفاظ وردت في كتب الأنساب، من مثل: الفخذ، والبطن، والرحم، وغيرها، دليل

---

(١) Robertson Smith, *Kinship and Marriage in Early Arabia: Religion of the Semites,* 2nd. ed (London, 1894), 35-38.

(٢) جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ط٢ (بيروت: دار العلم، ١٩٧٦م)، ١: ٥٢٣.

(٣) انظر كتاب *الأمومة عند العرب*، تعريب بندلي صليبا الجوزي (قازان، ١٩٠٢م)؛ وعلي، *المفصل*، ١: ٥٢١- ٥٢٣.

(٤) صالح أحمد العلي، *محاضرات في تاريخ العرب* (الموصل: جامعة الموصل، ١٩٨١م)، ١٤٠، ١٤١.

على أن هؤلاء لا يدركون من أسرار العربية، وبيانها، وإعجازها ما يدركه العرب. ورد جرجي زيدان على من ذهب هذا المذهب بأن البطن فرع من فروع القبيلة على سبيل التشعب، كالشجرة، وأنه لا علاقة لاستخدام البطن للقبيلة أو بعض فروعها بالأمومة، وإنما جعلوا أسماءها شبيهة بأسماء أجزاء البدن بالنظر إلى علاقتها بعضها ببعض أو تفرع بعضها عن بعض.[٥]

وقد وضع العرب ألفاظا وتراكيب كثيرة للدلالة على القرابة والنسب، ولو فهمناها على ظاهرها لبعدنا عن الحقيقة وضللنا الطريق، ومن ذلك قولهم: «إنما نحن فرعا نبعة وغصنا دوحة،» أو «هما ينتسبان إلى جرثومة واحدة» والجرثومة أصل الشجرة، أو قولهم: «نشأ فلان وفلان في عش ودرجا من وكر.»[٦] وسبيل ذلك كله وما شابهه في العربية المجاز والتشبيه.

وغني عن القول أن نظام الأمومة لا يتفق البتة مع العناية الخاصة بالأنساب والأصول، لأنه قائم، في الغالب، على الجهالة، أو ما يشبه الجهالة، بالآباء قربوا أو بعدوا، ولكن العرب قد اهتمت اهتماما فريدا، وعنيت عناية مميزة بأنسابها في جاهليتها وإسلامها، ولم تبلغ أمة من الأمم عناية العرب بأنسابها وأحسابها، ولم تكن ثمة وسيلة لمعرفة العرب أنسابها وأصولها إلا بالرواية الشفوية، فكان الرجل منهم يتلقى أنساب من سبقه من قومه - ومن حوله شهود على روايته - فيحفظها ويضيف إلى ذلك أنساب من عاصروه، وعنه يتلقى غيره. وبهذا أخذت أنساب العرب تتناقل عن طريق الرواية ثم الكتابة منذ العصر الجاهلي حتى وصلت إلينا. وبذلك أصبحت معرفة الأنساب علما معدودا عند العرب، به يتفاضلون ويفاخرون، ولم يكونوا سواء في الإحاطة بأنسابهم، بل برع فيه قوم دون آخرين، ممن عرفوا بسعة الرواية وقوة الحافظة، وكان الواحد منهم يسمى «نسابة.» وقد عرف منهم بالإحاطة بالأنساب أبو بكر الصديق، وابن عباس، وعقيل ابن أبي طالب، وجبير بن مطعم، رضي الله عنهم، كما عرف منهم أيضا دغفل بن حنظلة السدوسي وعبيد بن شرية الجرهمي وغيرهما.

---

(٥) جرجي زيدان، *أنساب العرب القدماء* (القاهرة: دار الهلال، ١٩٠٦م)، ٢٨.

(٦) الهمذاني، *الألفاظ الكتابية* (بيروت، دار الهدى، ١٩٧٩م)، ٣٣.

ولما جاء الإسلام لم يمنع من رواية الأنساب والعناية بها، بل لقد ندب إلى معرفتها وحفظها، لما في معرفتها من صلة الأرحام وتقوية الروابط والعلائق بين الناس، روي عن النبي، ﷺ، قوله: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأجل.[٧] وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم، ولا تكونوا كنبط السواد، إذا سئل أحدهم: من أنت؟ قال: من قرية كذا، فوالله إنه ليكون بين الرجل وأخيه الشيء لو يعلم الذي بينه وبينه من دخلة الرحم لردعه ذلك عن انتهاكه.[٨]

وزعم بعض المستشرقين أن الأنساب العربية لفقت تلفيقا ووضعت وضعا على أساس النسب النبوي أيام عمر بن الخطاب، ليستطيع كل واحد من العرب الذين أسلموا أن يحصل على نصيبه من الأنفال ونحوها. ونحا مستشرقون آخرون نحوا من هذا فرأوا أن للنسابين يدا في ترتيب هذه الشجرة العظيمة للأنساب، أو للشجرتين بتعبير أصح: شجرة نسب أبناء قحطان، وشجرة أنساب أبناء عدنان، ولذلك فهم لا يطمئنون إليها، ولا يصدقون كثيرا من هذه الأنساب المروية والأخبار والروايات الواردة في هجرة القبائل الجنوبية نحو الشمال، وهذا ادعاء تنفيه النصوص وتدحضه كتب الأنساب، وهو مبني على نصوص أو روايات أسيء فهمها أو قصد تشويه صورتها ودلالاتها. ومن ذلك ما ذكر من أن الخليفة عمر، رضي الله عنه، أمر بتسجيل الأنساب وتبويبها وتثبيتها في ديوان، وذلك عند فرضه العطاء، فبدأ بالترتيب في أصل النسب، ثم ما تفرع عنه، فالعرب عدنان وقحطان، فقدم عدنان على قحطان، لأن النبوة فيهم، وعدنان تجمع ربيعة ومضر، فقدم مضر على ربيعة لأن النبوة فيهم، ومضر تجمع قريشا وغير قريش، فقدم قريشا لأن النبوة فيهم، وقريش تجمع بني هاشم وغيرهم، فقدم بني هاشم لأن النبوة فيهم، فيكون بنو هاشم قطب الترتيب، ثم بمن يليهم من أقرب الأنساب إليهم حتى استوعب قريشا، ثم بمن يليهم في النسب حتى استوعب جميع عدنان. وقد كان هذا التسجيل سنة خمس

(٧) ابن عبد البر القرطبي، *الإنباه على قبائل الرواة* (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٥٠هـ)، ٤٢، ٤٣.

(٨) ابن عبد البر، *الإنباه*، ٤٣.

عشرة للهجرة في رواية، أو سنة عشرين في رواية أخرى، ولتسجيل عمر للأنساب شأن كبير بالنسبة إلى الباحثين في تطور النسب عند العرب، لأنه ثبت بذلك الأسس ووضع القواعد للنسابين في الإسلام، وقلل من الاضطراب الذي كان يقع في النسب بسبب الاختلاط، وعليه سار المسلمون في تقسيم العرب إلى أصلين، ولابد أن يكون لهذا التقسيم أصل قديم، يرجع إلى ما قبل عمر، أقره الخليفة، وجعله أساسا له في التقسيم الذي بقي مرعيا متعارفا عليه بين النسابين إلى اليوم.[٩]

أما ما ادعاه هؤلاء المستشرقون من وجود نظام الأمومة عند العرب، لأنهم وجدوا نفرا منهم نسبوا إلى أمهاتهم، فقد غفل هؤلاء عن طبيعة العرب في علاقاتهم وعاداتهم وقيمهم، فإن المرء - إلى يومنا هذا - إذا نسب إلى أمه في معرض المدح والثناء قبله ورضي به، بل وسُرَّ به، وإذا ذكر بأمه في معرض الذم والتنقص رفضه وعده إهانة لا يقبلها، وكل كلام له سياق يوضح المراد به ويبين عن دلالاته، وهذا معلوم بداهة عند علماء اللغة ونقدة البيان.

وقد جاء في كتب التراث ما يدل على شيء من هذا، وهو تعليل مقبول لانتساب بعض العرب إلى أمهاتهم أو نسبتهم إليهن، وهو، وإن يكن موجودا، فهو قليل جدا، فربما نسبوا الرجل لأمه لشرفها وعلو مكانتها على مكانة الأب في معرض الحديث وفي سياق المناسبة. قال أبو الفرج: «يزيد بن ضبة مولى لثقيف، واسم أبيه مِقْسَم، وضبة أمه، غلبت على نسبه، فكان ينسب إليها لشهرتها.»[١٠] وقال الجاحظ عن بني مزينة: «وبنو مزينة هم بنو عثمان، ومزينة أمهم، ولكن الأم إذا كانت ذات نباهة أضافوا الولد إليها، وإن كان الأب نبيها.»[١١] ولما قتل ابن جرموز الزبير بن العوام جاء عليا، رضوان الله عليه، فقال علي: بشر قاتل ابن صفية بالنار.[١٢] وهو بهذا يؤكد على قرابة الزبير من

---

(٩) انظر: علي، *المفصل*، ١: ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٨١.

(١٠) الأصفهاني، *الأغاني* (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٣م)، ٧: ٩٥.

(١١) الجاحظ، *البرصان والعرجان*، تحقيق عبد السلام هارون (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢م)، ١٨٣.

(١٢) أبو هلال العسكري، *الأوائل*، تحقيق وليد قصاب ومحمد المصري، ط٢(الرياض: دار العلوم، ١٩٨٠م)، ١: ٢٩٨.

رسول الله ﷺ، وفداحة جرم قتله، لأن صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله وأم الزبير ابن العوام. وكانت أم عثمان بن عفان، رضي الله عنه، هي أم الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أروى بنت كريز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم. ومن هنا قال الوليد لعلي بن أبي طالب مفاخرا: أنا ألقى رسول الله بأمي من سبيه، فداه بأبيك.[١١] وقال ابن رشيق: «ومن فضل الشعر أن الشاعر يخاطب الملك، فينسبه إلى أمه»،[١٢] ويريد بذلك أنه يفعل ذلك في سياق المديح فلا يراه الملك ولا يأنف منه.

وفي الأغاني ذكر لسبب آخر، وهو أن العرب تستعبد أولاد الإماء، فينسبون إلى الهجن. قال أبو الفرج: «عنترة بن شداد ... وأمه حبشية، وقد كان شداد نفاه مرة ثم اعترف به فألحقه بنسبه، وكانت العرب تفعل ذلك، تستعبد بني الإماء، فإن أنجب اعترفت به وإلا بقي عبدا»[١٣] ونحوه عند البغدادي، قال: «وعنترة العبسي بن شداد ...» ويقال إن أباه ادعاه بعد الكبر، وذلك أنه كان لأمة سوداء، يقال لها زبيبة، وكانت العرب في الجاهلية إذا كان لأحدهم ولد من أمة استعبده، وكان لعنترة إخوة من أمه عبيدا لأبيهم»[١٤] ونعزو نسبة انتماء الإماء إليهن من هذا الباب، وأخبارهم في كتب التراجم والأدب مستفيضة، وقد نعى نفسي ذلك سيرهم وأخبارهم. ومن هؤلاء خُفاف بن نَدبة، وندبة أمه، وهي أمة سوداء، وكان خفاف أسود أيضا. ومثله السُّلَيك بن السُّلَكة، وهما من أشهر اللصوص[١٥]

---

(١١) ابن عبد ربه، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١ (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٧)، ٣: ٧٣.

(١٢) ابن رشيق، *العمدة*، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٥ (بيروت: دار الجيل، ١٩٨١)، ١: ١٢.

(١٣) الأصفهاني، *الأغاني*، ٨: ٢٣٧.

(١٤) البغدادي، *خزانة الأدب*، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩)، ١: ١٢٨.

(١٥) الأصفهاني، *الأغاني*، ١٨: ٧٦؛ وابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧م)، ١: ٢٩١؛ والبغدادي، *الخزانة*، ١: ١٢٨.

والأَشْهَب بن رُمَيْلَة، وهو أحد الشعراء المعروفين، ورميلة أمه، وكانت أمة لخالد بن مالك ابن ربعي، قال أبو عمرو بن العلاء: ولدها يزعمون أنها سبية من سبايا العرب.[١٨] ومن بطون زيد بن كهلان: بنو أَشَاءة، وأشاءة أمة من حضرموت بها يعرفون.[١٩] ومن بني ذهل بن شيبان، عمرو، وأمه جذْرَة، سبية من اليمن، فهم يدعون «بني الجذْرَة.»[٢٠] وقال ابن الكلبي في شأن قبيلة بَجيْلَة: فأما غلبة بَجيْلَة على هذا النسب في شهرته بها فإن بجيلة ليست برجل، إنما هي امرأة قد اختلف في نَسبها، ويقال إن بَجيْلَة امرأة حبشية كانت قد حضنت بني أَنْمَار جميعا غير خثعم، فإنه انفرد فصار قبيلة على حدته ولم تحضنه بجيلة.[٢١]

وعلى هذا فإن الانتساب إلى الأمهات أو النسب إليهن حمال أوجه، يمكن أن يحمل على أحدها، فهناك شهرة الأم نباهة أو ضعة، وهناك موت الأب وكفالة الأم للأبناء، وربما كان الولد لأمة فيستعبده أبوه، وينسب إلى أمه حتى يمجد وينجد فيستلحقه، كما مر آنفا. وربما كان هذا النسب مما يلمز به الرجل ويعاب، لأن العرب لا تنسب في الأصل إلى الأمهات، وقد يكون الرجل نشأ مع أمه في أخواله، فلا يعرف أبوه عند أكثر من نشأ بينهم فينسبونه عندئذ إلى أمه. وربما كان للرجل أكثر من زوجة فيدعى الولد لأحدهما تمييزا عن ولد الأخرى. ولذا فليس حتما أن ينسب الرجل إلى أمه التي ولدته، بل ربما نسب إلى أم أبيه أو إلى أم أمه. وفي هذا جانب من الرد على القائلين بنظام الأمومة عند العرب، وقد جاء عند الآمدي: عنترة بن عُكْبُرَة الطائي، وعُكْبُرَة أم أمه، وبها يعرف.[٢٢] والمجنون القُشَيري، ويعرف بابن المُحَدِّقة، وهي أم أبيه.[٢٣] وحَوَّاس بن نُعَيْم بن الحارث، قال أبو

---

(١٨) البغدادي، *الخزانة*، ٦: ٣٠.

(١٩) ابن دريد، *الاشتقاق*، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٨م)، ٣٦٤.

(٢٠) ابن قتيبة، *المعارف*، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، د.ت.)، ١٠٠.

(٢١) الأصفهاني، *الأغاني*، ٢٢: ١.

(٢٢) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ملحق بمعجم *الشعراء* للمرزباني، تصحيح وتعليق كرنكو (القاهرة: مكتبة القدسي، ١٣٥٤هـ)، ١٥٢.

(٢٣) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ١٨٩.

سعيد السكري: ويعرف بابن أم نهار، وهي أم أبيه، وبها يعرف هو وأبوه.[٢٤] وعند المرزباني: القَعْقَاع بن دَرْمَاء الكلبي، ودرماء جدته، وهو القعقاع بن حُرَيْث بن الحكم بن سَارِدَة بن مُحْصن، ودرماء هي أم محصن، فغلبت على ولده، والقعقاع جاهلي.[٢٥] وعند الفيروزآبادي: وسعد بن الحنظلية، وهي أم جده، وهو سعد بن عُقَيْب، ويكنى أبا الحارث الحارثي الصحابي.[٢٦] وسهل بن الحنظلية الحارثي، والحنظلية هي أم أبيه، وهو سهل بن عمرو بن عدي، صحابي.[٢٧] وجُبَيْر وعبد الله ومالك أبناء بُحَيْنَة، وبُحَيْنَة لقبها، واسمها عَبْدَة بنت الحارث بن عبد المطلب، وهي أم أبيهم.[٢٨] وامرؤ القيس بن عابس الكندي، ذكر الرواة أن أم جده السِّمْط كانت تدعى (تَمْلك) وهي من جدات امرىء القيس بن حُجْر، وكان بنوها يدعون بها، فيقال حجر بن تملك، وامرؤ القيس بن تملك.[٢٩]

وقد بلغني أن الانتساب إلى الأمهات لا يزال موجودا - إلى وقت قريب - في بعض نواحي اليمن، ولعل للحضور العبراني اليهودي علاقة بهذا، إذ إن اليهود لا يعدون من اليهود من لم تكن أمه يهودية، فاليهودي عندهم هو المولود من أم يهودية.[٣٠] ونصوص العهد القديم دالة على أن الأسرة اليهودية عرفت نظام الأمومة، إذ نجد نساء مثل «ليا» كانت أما لقبائل روبين وشمعون وليفي ويهوذا وزبولون. وغير «ليا» نجد «راحيل» وهي أم يوسف وبنيامين، ومنهما انحدرت بطون كثيرة. كذلك نجد «بلها» أم قبيلتي دان ونفتالي. و«زلفا» أم قبيلتي جاد وأشير. ثم «هاجر» أم الإسماعيليين (العرب الشماليين) وغيرهن.

---

(٢٤) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ٧٥.

(٢٥) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٣٢٩.

(٢٦) الفيروزآبادي، *تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه*، نوادر المخطوطات، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢ (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٢م)، ١:١٠٥.

(٢٧) الفيروزآبادي، *تحفة الأبيه*، ١:١٠٦.

(٢٨) الفيروزآبادي، *تحفة الأبيه*، ١:١٠٣، ١٠٧.

(٢٩) حسن السندوبي، *أخبار المراقسة وأشعارهم*، ط٣ (القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٥٩م)، ٣٤٥.

(٣٠) أسعد رزوق، *قضايا الدين والمجتمع في إسرائيل* (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٧١م)، ٥١.

ولعل عدم الاعتراف بصحة النسب إلى الأب مع الجزم بصحة نسبته إلى الأم هو الذي يعلل إباحة الاقتران بالأخت وامرأة الأب وامرأة الابن عندهم، وقد ظل الاعتراف بإثبات صحة النسب عن طريق الأم قويا ترددده الأسفار المقدسة عندهم، كحق الأم في التبني، ومنح الاسم، وكذلك الميراث حسب نسبها. كما جرت العادة أن الأخ لا الأب هو الذي يزوج ابنته. فكل هذا وغيره دال على أن الأسرة اليهودية مرت بطور سيادة الأم وهيمنتها عليها.[٣١]

وقد تكلف بعض المفسرين التأويل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴿٧١﴾﴾[٣٢] فقال محمد بن كعب: «بإمامهم» بأمهاتهم، وإمام جمع أم، كخُفّ وخِفاف، وعلل ذلك بثلاثة أوجه من الحكمة، أحدها: لأجل عيسى بن مريم، عليه السلام، والثاني: لشرف الحسن والحسين، والثالث: لئلا يفتضح أولاد الزنى.[٣٣] وقد ضعف هذا النحو من التأويل القرطبي[٣٤] والشوكاني.[٣٥] وأهمله شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، فلم يورده ألبتة في *جامعه* عند تفسيره للآية.

وربما سمت بعض الأمهات أبناءها دون الآباء، ولعل بعض العرب كان يترك ذلك للأمهات، ولهذا فإن الحجاج بن يوسف لما قال لسعيد بن جبير: يا شقي بن كسير، قال سعيد: ذلك اسم لم تسمني به أمي.

على أن الأصل عند العرب النسبة إلى الآباء والانتساب إليهم، وما عداه فهو قليل أو نادر لا يخل بالقاعدة ولا ينقضها، كالنسبة إلى الأمهات أو إلى الأخوال أو غيرهم.

---

(٣١) فؤاد حسنين علي، *محاضرات في المجتمع الإسرائيلي* (القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٦م)، ٥٠.

(٣٢) سورة الإسراء، آية ٧١.

(٣٣) أبو السعود الحنفي، *تفسير أبي السعود*، تحقيق عبد القادر أحمد عطا (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٧١م)، ٣: ٤٧٠.

(٣٤) القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن* (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٥٩هـ)، ١٠: ٢٩٧، ٢٩٨.

(٣٥) الشوكاني، *فتح القدير* (بيروت: دار المعرفة، د. ت.)، ٣: ٢٤٦.

وفي الحديث الشريف: ملعون ملعون من انتمى إلى غير أبيه أو ادعى إلى غير مواليه.[٣٦] وفي القرآن الكريم: ﴿ **ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾.[٣٧] وفخر العرب بآبائها سبيل لا ينتهي، وشواهده يقصر دونها الحصر والإحصاء. ومن ذلك قول الشاعر:

لا تَشْتُمَنَّ امرءا في أن تكون له ... أُمٌّ من الروم أو سوداءُ عَجْمَاءُ
فإنما أمهاتُ القومِ أوعيةٌ ... مُسْتَوْدَعَاتٌ وللأحسابِ آباءُ[٣٨]

وقول الفرزدق:

أبي غَالبٌ والمرءُ صَعْصَعَةُ الذي ... إلى دارمٍ يُنْمَى فَمَنْ ذا يُنَاسِبُهْ
وَكَمْ مَنَ أبٍ لي يا معاويَ لم يَزَلْ ... أَغَرَّ يباري الريحَ ما ازورّ جَانِبُه[٣٩]

وقوله أيضا:

كَمْ منْ أب ليَ يا جريرُ كَأنَّه ... قَمَرُ المجرة أو سراجُ نَهَار
وَرِثَ المكارِمَ كابرا عن كابرٍ ... ضَخْمُ الدَّسِيْعَة كُلَّ يومٍ فَخَار[٤٠]

وقول البَعِيْثَ المُجَاشعي:

وَكُلَّ تراث المَجد أوْرَثَنَي أبي ... إذا ذُكِرَ الغالي من الحسب الجَزْل
وجدتُ أبَي من مَالك حَلَّ بَيْتُهُ ... بحيثَ تَنَصّى كُلُّ أبيضَ ذي فَضْلَ[٤١]

ولو كان نظام الأمومةً عند العرب - وهو سبة ومثلبة، حاول بعض المستشرقين إلصاقها بالعرب تكلفا وادعاء - لو كان موجودا لأثاره ونبه إليه، بل وتعلق به، من ألفوا في مثالب العرب وأنسابها، وخاصة الشعوبيين منهم، كابن الكلبي والهيثم بن عدي وعلان

---

(٣٦) المبرد، *الكامل*، ١: ١٦.

(٣٧) سورة الأحزاب، آية ٥.

(٣٨) ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، تحقيق محمد سعيد العريان (بيروت: دار الفكر، د.ت.)، ٧: ١٢١.

(٣٩) أبو عبيدة، *النقائض*، عناية بيفان (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٥م)، ٢: ٦٠٩.

(٤٠) البغدادي، *الخزانة*، ١٠: ١٢٢.

(٤١) أبو عبيدة، *النقائض*، ١: ١٣٨.

الشعوبي، ولابن الكلبي كتاب كبير في مثالب العرب،[٤٢] وله كتب في أنسابها.[٤٣] ولم يعرض مع ذلك للأمومة عند العرب، ولم يذكرها في مثالبهم كما ذكرها هؤلاء المتأخرون.

وقد ألف علماء العرب، ورواتهم، وإخباريوهم رسائل فيمن نسبوا إلى أمهاتهم من العرب، وخاصة الشعراء، ولم يجد هؤلاء الرواة والعلماء غضاضة في ذلك، ولم يحملوه على أنه ينال من أصالة العرب وكرامتهم أو يسيء إليهم في أنسابهم وأحسابهم. فلأبي سعيد السكري رسالة «الشعراء المعروفون بأمهاتهم،»[٤٤] ولابن حبيب رسالة «من نسب إلى أمه من الشعراء،»[٤٥] قال عنه محقق الرسالة عبد السلام هارون: «محمد بن حبيب، لا يعرف أبوه، وحبيب أمه، وكانت مولاة لمحمد بن العباس الهاشمي، ومن نسبه ندرك سر اهتمامه بهذا البحث.»[٤٦]

وللمدائني، أبي الحسن علي بن محمد بن أبي سيف كتاب «من نسب إلى أمه من الشعراء.»[٤٧] وللحلواني «كتاب المنسوبين إلى أمهاتهم.»[٤٨] وللفيروزآبادي *تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه*.[٤٩] وذكر السيوطي في مزهره نفرا من الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم.[٥٠] أما الصغاني فألف كتيبا عن الصحابة رضوان الله عنهم، وجعل لمن نسبوا

---

(٤٢) هشام بن محمد الكلبي، *المثالب*، صورة مخطوط، فيلم رقم ١٣، مكتبة جامعة الملك سعود، عن نسخة بدار الكتب المصرية، رقم ٩٦٠٢ أدب.

(٤٣) ابن الكلبي، *جمهرة النسب*، تحقيق ناجي حسن، ط١ (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٦م)؛ وكتاب *نسب معد واليمن الكبير*، تحقيق ناجي حسن، ط١ (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م)

(٤٤) انظر: الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ١٤٨، ١٥٩.

(٤٥) عبد السلام هارون، *نوادر المخطوطات*، ١: ٨٣ - ٩٦.

(٤٦) *نوادر المخطوطات*، مقدمة المحقق عبد السلام هارون، ١: ٨٢.

(٤٧) ابن النديم، *الفهرست*، تحقيق ناهد عباس عثمان، ط١ (الدوحة: دار قطري بن الفجاءة، ١٩٨٥م)، ٢٠٦.

(٤٨) البغدادي، *الخزانة*؛ ١: ٢٤.

(٤٩) عبد السلام هارون، *نوادر المخطوطات*، ١: ٩٩- ١١٠.

(٥٠) السيوطي، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، بعناية محمد أحمد جاد المولى وآخرين (بيروت: دار الفكر، د.ت.)، ٢: ٤٤٦، ٤٤٧.

منهم إلى أمهاتهم فسما خاصا.[٥١]

وامتداد الانتساب إلى الأمهات أو النسبة إليهن في المجتمع العربي بعد الإسلام، وكونه لا يختص ببيئة دون أخرى ولا بقبيلة دون قبيلة - كما سيتضح من شواهد البحث - دليل قوي على أنه لا ارتباط لهذا بنظام الأمومة الذي يزعم هؤلاء المستشرقون وجوده في المجتمع العربي الجاهلي.

الأم في بعض أقوال العرب

كما يفدي العرب بآبائهم، يفدون بآبائهم وأمهاتهم، فالأم صنو الأب عندهم ومكانتها لا تقل عن مكانته، وهو أمر يرد مزاعم القائلين بأن العرب تحتقر المرأة وتأنف من ذكرها، ولا تقيم لها وزنا. والعرب مبتلون بمن ساءت طواياهم، وفسدت نواياهم، وقصرت مداركهم، فلا يزالون يرمون العرب بكل نقيصة، وإن تعلقوا من الحجج بأوهنها، ومن الأسباب بأوهاها، ومن البراهين بأرذلها وأضعفها، فإن انتسب بعض العرب إلى أمهاتهم أو نسبوا إليهن رموهم بجهلهم بآبائهم، وبأنهم لا يعرفون من أصولهم وأنسابهم إلا أمهاتهم، وإن لم يذكروهن وكان فخرهم بآبائهم رموهم باحتقار المرأة وانتقاص حقها، وردوا ذلك إلى خلل في قيمهم، وجهالة في حياتهم. ولن ينصف العرب إلا طلاب الحقيقة والمعرفة المجردون من الضغائن والأهواء.

ومن أمثلة ذكر العرب أمهاتهم، مع ذكرهم آباءهم في معرض التفدية، قول عامر ابن عبدالله العَلَوِيّ الفرشي:

فدًى لبني الأُلُوف أبي وأُمِّي ... وقد غَصَّتْ من الكَرْبِ الحُلُوْقُ[٥٢]

وقول الطُّفَيل الغَنَوي:

يَقُولون لما جَمَّعُوا الغَدْوَ شَمْلَهم ... لك الأُمُّ منا في المواطنِ والأَب[٥٣]

---

(٥١) الصغاني، *نقعة الصديان*، تحقيق أحمد خان، ط١ (المدينة المنورة: مكتبة الإيمان، ١٩٨٧م)، ٤١ - ٤٦.

(٥٢) ابن حبيب، *المنمق في أخبار قريش*، صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فارق، ط١ (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٥م)، ٨١.

(٥٣) *ديوان الطفيل*، تحقيق محمد عبد القادر أحمد (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨م)، ٤٨.

وقال الحارث بن قيس:

فدَى للأُلَى أدعو إلى الموت حُسَّرا بأَسْـقَلَ ذي وَدَّانَ أُمـيَ والأب(٥٤)

وقول رَجل من بني ضبة بن أد لبنيَ تميم بن مر بن أد:

أَبَني تَميْم إنَّني أنا عَمُّكُمْ لا تُحْرَمُنَّ نصيحةَ الأعْمَام
فَتَدَاركُوا بأَبي وأُميَ أنتمُ أَرْحَامَكُمْ برواجح الأحْلامَ(٥٥)

وقد كان الصحابة، رضوان الله عنهم، يُفَدُّون رسول الله، ﷺ، بآبائهم وأمهاتهم في معرض سؤالهم الرسول عن أمور دينهم، فيقول قائلهم: «بأبي وأمي أنت يا رسول الله.»(٥٦)

بل إن العرب ربما فدَّت بالأم وحدها، ولم يقرنوها بالأب - كما سلف - وهذا دال على مكانة سامية للأم عندهم، وجاء الإسلام فعزز هذه المكانة وكرّس هذا التكريم، وقدمها على الأب في بر الأولاد ومراعاة الحقوق، فقال رسول الله، ﷺ، حين سأله أحدهم: «من أحق بحسن صحابتي يا رسول الله؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك.»(٥٧)

ومنه قول الأعشى:

هُنَاكَ فدَى لهـمْ أُمِّي غَدَاةَ تـواردوا العَلَمَا(٥٨)

وقول أبي قيس بن الأسلتَ:

لَقَدْ رأيتُ بني عمرو فَمَا وَهَنُوا عند اللقاء وما هَمُّوا بتكذيب
ألاَ فدَى لهمُ أُمِّي وما ولَـدَتْ غَدَاةَ يمشونَ إرْقَالَ المصَاعِيب(٥٩)

---

(٥٤) ابن حبيب، *المنمق*، ١٣٨.

(٥٥) المبرد، *الكامل*، ١: ٢٥٧.

(٥٦) انظر: ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، تحقيق عبد العزيز بن باز (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٨٠هـ)، ٤: ١١١؛ ٧: ١٩، ٤٠.

(٥٧) ابن حجر، *فتح الباري*، ١٠: ٤٠١.

(٥٨) *ديوان الأعشى*، ميمون بن قيس، تحقيق محمد محمد حسين (القاهرة: المطبعة النموذجية، ١٩٥٠م)، ٣٠٣.

(٥٩) الأصفهاني، *الأغاني*، ٣: ٢٥.

وقول ضرار بن الخطاب القرشي:

صَبْرا فِدَى لكمُ أُمِّي وما ولَدَتْ تَعَاوَرُوا الضَّرْبَ حتى يُدْبِرَ الشَّفَقُ[٦٠]

وقول عمرو بن العاص:

فَفِدَى لَهُمْ أمي غدا ةَ الرَّوْع إذ يَمْشُوْنَ قَطْوَا[٦١]

وقول مالك بن خويلد الهُذَلي:

فدَى لبني لحيَانَ أمِّي فإنهم أطَاعوا رئيسا منهم غَيْرَ عُوَّقِ[٦٢]

وقول الكُمَيْت بن زَيد الأسدي:

فدَى لَهُمُ أمِّي وأمُّهُمُ لهمْ إذا البِيْضُ أبدت ما تُواري أتُوْبُهَا[٦٣]

وقول الأخطل:

يُشِيْرُ إليها والرماحُ تَنُوْشُهُ فدَى لكَ أمِّي إن دَأبْتَ إلى العَصْرِ[٦٤]

وربما ذكر بعض الشعراء الأم على أنها رابطة النسب وعلاقته بدلا من ذكر الأب، فيقول قائلهم: يا ابن أمي، ويا بني أمي، ويا بني أمنا، ونحو ذلك. وعلل البغدادي مثل هذا، حين أورد قول الشَّنْفَرَى في لاميته:

أقِيْمُوا بني أمِّي صُدورَ مَطِيِّكُمْ فإنِّي إلى قوم سِوَاكُمْ لأمْيَلُ

قال: وبني أمي منادى، وأضاف الأبناء إلى الأم لأنها أشد شفقة، كما قيل في قوله تعالى، حكاية

---

(٦٠) ابن هشام، *السيرة النبوية*، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.)، ٣: ١٥٣.

(٦١) ابن هشام، *السيرة النبوية*، ٣: ١٥٤.

(٦٢) أبو سعيد السكري، شرح *أشعار الهذليين*، تحقيق عبد الستار فراج ومراجعة محمود محمد شاكر (القاهرة: مطبعة المدني، د. ت.)، ١: ٤٧١.

(٦٣) أبو زيد القرشي، جمهرة *أشعار العرب*، تحقيق محمد علي الهاشمي (الرياض: جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ١٩٨١م)، ٣: ٩٩٠. و«الأتوب» جمع إتب، وهي بردة تشق فتلبس من غير كمين ولا جيب، وكنَّى بإبداء السيوف ما تواريه الأتوب عن اشتعال نار الحرب واحتدام القتال.

(٦٤) أبو زيد القرشي، جمهرة *أشعار العرب*، ١: ٢٢٦.

عن هارون ﴿قَالَ يَا بْنَؤُمَّ﴾ [طه]. (٦٥) ونحو هذا النداء قول البراء بن ربْعيّ الفَقْعَسي:

أبَعْدَ بني أمي الذين تتابعـــوا أرَجّي الحياة أمْ مِنَ الموتِ أجْزَعُ (٦٦)

وقول الأعشى تغلب:

بَني أمنا مهـــلا فإن نفوســنا تُمِيْتُ عليكـم عَتْبها ومَصَالها (٦٧)

وقول أبي زُبَيد الطائي:

يا ابنَ أمي ويا شـــقيّقَ نَفْســي أنْتَ خليتني لأمرٍ شـــديد (٦٨)

وقال أبان بن النعمان الأنصاري يرثي أخاه يزيد بن النعمان:

وأنا ابنُ أمكَ يا يزيدُ فمن يكنْ يســلو فقلبي مُوْجَعٌ مَحْزُوْن (٦٩)

وربما دعوا على الرجل بهبل أمه أو ثكلها، وهما بمعنى واحد، (٧٠) ومثل هذا غير محتاج إلى تكلف التعليل، فالأم أكثر معاناة وحزنا عند فقد ابنها من الأب - على وجه العموم - لأنها أرق من الرجل عاطفة، وأضعف منه في مقارعة خطوب الدهر ونوازله، وقد لا تقوى على التجلد والصبر على ملمات الأيام وفجاءاتها.

وليس في تراث العرب - فيما أعلم - الدعوة بثكل الأب، بل ولا بثكل الأبوين معا، وإنما هو مقصور على الأم لما سقته من تعليل. وأمثلة ذلك في أشعارهم قول الأعشى:

تَركتهمُ صَرْعَى لدى كُلِّ منهـــلٍ وأقبلتَ تبغي الصُّلْحَ، أمُّكَ هَابِلُ (٧١)

وقول لبيد بن ربيعة:

---

(٦٥) البغدادي، *الخزانة*، ٣: ٣٤٠، ٣٤١.

(٦٦) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ٨٦.

(٦٧) الأصفهاني، *الأغاني*، ١١: ٢٨٣. والمصال: لعله من صال يصول إذا سطا.

(٦٨) الأنباري، *الأضداد*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٧م)، ٢٩٢.

(٦٩) أسامة بن منقذ، *لباب الآداب*، تحقيق أحمد محمد شاكر (القاهرة: دار الكتب السلفية، ١٩٨٧م)، ٤١٠.

(٧٠) ابن منظور، *لسان العرب* (بيروت: دار صادر، د.ت.)، (هبل).

(٧١) *ديوانه*، ١٨٣.

إذا المرءُ أسرَى لَيْلَة ظَنَّ أنه ... قضَى عَمَلا، والمرءُ ما عاش أملُ
حَبَائلُهُ مبثوثةٌ بسبيله ... ويَفْنَى إذا ما أخطأته الحبَائلُ
فقُولَا له، إن كان يَقْسِمُ أمْرَهُ ... ألَمَّا يَعظْكَ الدهرُ؟ أمُّكَ هَابِلُ[٧٢]

وقول عاتكة بنت زيد بن عمرو في قاتل زوجها الزبير بن العوام، رضي الله عنه:

هَبلَتْكَ أمُّكَ إنْ قَتَلْتَ لَمُسْلما ... وَجَبَتْ عليكَ عقوبةُ المُتَعَمِّد[٧٣]

وقول مَطْرود بن كعب الخُزاعي:

يا أيها الرجلُ المُحَوِّلُ رَحْلَهُ ... هَلاّ حَلَلْتَ بآل عبد مناف
هَبلَتْكَ أمكُ لو حللت إليهم ... ضَمِنُوكَ مِنْ جوعٍ ومن إقْرَافَ[٧٤]

وقول سُعدَى بنت الشَّمَردل الجهنية:

أجَعَلْتَ أسعدَ للرماح دَرِيئَة ... هَبلَتْكَ أمكَ أيَّ جَرْد تَرْقَعُ[٧٥]

وربما قال النبي محمد، ﷺ، لبعض أصحابه: ثكلتك أمك، أي فقدتك. ومن ذلك قوله لمعاذ بن جبل، رضي الله عنه، ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم، أو قال على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم. وواضح أن هذا من الألفاظ التي تجري على ألسنة العرب ولا يراد معناها، فلا يقصد منها الدعاء على المخاطب بها، كقوله، ﷺ: «فاظفر بذات الدين تَربَتْ يداك»[٧٦] وقوله: تربت يمينك، وقولهم: ثكلتك أمك،[٧٧] ومنه قول العرب: قاتَله الله ما أشجعه، وقولهم: ويلمه (أي ويل أمه) لسعر حرب، تعجبا من شجاعته وإقدامه،[٧٨] قال حاجب بن حبيب الأسدي:

---

(٧٢) ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ١: ٢٧٩.

(٧٣) الأنباري، *الأضداد*، ١٩٠؛ والبيت من شواهد النحو، انظر: ابن هشام، *مغني اللبيب* (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م)، ٣٧.

(٧٤) ابن حبيب، *المنمق*، ٤٦؛ والمرزباني، *معجم الشعراء*، ٣٧٥.

(٧٥) الأصمعي، *الأصمعيات*، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط ٥ (القاهرة: دار المعارف، د.ت.)، ١٠٣. والجرد: الخلق من الثياب.

(٧٦) ابن حجر، *فتح الباري*، ٩: ١٣٢.

(٧٧) ابن حجر، *فتح الباري*، ١: ٢٢٩؛ ٢: ٢٧٢؛ ٩: ٥٨؛ ١٣: ٤٥.

(٧٨) انظر: ابن منظور، *اللسان*، (ثكل) و (ويل).

ويلُ امِّ قومٍ رأينا أمْسِ سَادتَهُمْ في حادثاتٍ ألَمَّتْ خَيْرَ جِيْرَانِ[٧٩]

وقال أمية بن أبي الصلْت:

ويلُ امِّ قَوْمِيَ قوما إذا قَحَطَ الـ ـقطر وآضَـــتْ كَأَنَّهَـــا أدَمُ[٨٠]

ونحوه قول العرب: «هوت أمه،» ومعناه: هلكت أمه. وتقول: هوت أمه فهي هاوية، أي ثاكلة، وليس المراد به الدعاء عليه، بل التعجب منه، وربما آل إلى ضده فأصبح للتعبير عن الحزن والفقد، وهذا ما يمكن أن يدخل في دائرة اللغة الوظيفية، وهي التي ينتقل اللفظ فيها من دلالته الأصلية إلى دلالة لاحقة مكتسبة مختلفة. قال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه:

حَليمٌ إذا ما سَوْرَة الجهـلِ أطْلَقَتْ حبَى الشَّيب، للنفس اللَّجُوجِ غَلُوبُ

هَـوَتْ أمهُ ما يبعث الصبـحَ غاديـا وَماذا يـؤديَ الليـلُ حَيْنَ يَـؤُوبُ[٨١]

وقال غُرَيْفَة بن مُسافع العبسي:

هَوَتْ أمه ماذا تَضَمَّـنَ قَبْـــرُه من الجود والمعروف حين يَنُوبُ[٨٢]

ولعل منه قول عابس بن الحُصَين الجَرْمي، وقيل للحارث بن وعلَة الجرمي:

يقولُ لِيَ النَّهْدِي: إنَّكَ مُرْدِفي وكيف رِدَافُ الفَلِّ، أمُّكَ عَابِرُ[٨٣]

المنسوبون إلى أمهاتهم

المنسوبون إلى أمهاتهم من العظماء والملوك

لو كان الانتساب إلى الأمهات أو النسبة إليهن دالين على ضآلة في الأنساب أو

---

(٧٩) المفضل الضبي، *المفضليات*، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٦ (القاهرة: دار المعارف، د.ت.)، ٣٧١.

(٨٠) الأنباري، *الأضداد*، ١٢٤. وآضت كأنها أدم: أي عادت كأنها أدم في حمرتها، لأنهم كانوا يقولون إذا اشتد الجدب: احمر أفق السماء.

(٨١) الأصمعي، *الأصمعيات*، ٩٥.

(٨٢) الأصمعي، *الأصمعيات*، ٩٩.

(٨٣) المفضل، *المفضليات*، ١٦٦؛ والمرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٧٨. والعابر: العبرى، أي الباكية الحزينة. وهي في *المعجم* برواية (غابر)، أي ذاهبة وهالكة.

ضعة في الآباء لما قبله الرؤساء، والأشراف، والملوك، والكبراء، ولكان سبة لسوقة الناس وعامتهم فحسب، لأن الأشراف والملوك يتخيرون ما يليق بهم وما يقرونه فلا يزال يشيع في الناس حتى يكون علما يعرفون به، لا ينكرونه ولا يأنفون منه، قال ابن سعيد الأندلسي: «وكثير من النسابين يجعلون العرب العاربة من ولد إسماعيل بن إبراهيم، قال المسعودي: ويستدلون بقول النبي، ﷺ، للأنصار: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا»، وإنما نسبهم من جهة الأمهات. ونسبوا النبي إسحق وبنيه إلى أمه سارة، فقد قال جرير يمدح هلالا المازني، ويفخر بأبناء إسماعيل وإسحق:

فَيَجْمَعُنا والغُرَّ أبناءَ سَـارة أبٌ لا نُبالي بعده مَنْ تَغَدَّرا[٨٥]

ويريد هنا أبناء إسماعيل، وأبناءً إسحق (وهم أبناء سارة) وأراد بالأب إبراهيم، عليه السلام. وقال الفيروزآبادي: ونسب بعضهم النبي، ﷺ، إلى أمه آمنة، فقال:

صَلَّى الإلهُ على ابنِ آمنةَ التي جاءتْ به سَبْطَ البَنَان كَريـما[٨٦]

ومن ملوك العرب، ممن نَسبوا إلى أمهاتهم، عمرو بن هند، وهند أمه، وهي بنت الحارث بن عمرو بن حُجْر، وأبوه المنذر بن ماء السماء، وماء السماء هي أمه، وهي بنت عوف بن جُشَم،[٨٧] قال عمرو بن كلثوم في عمرو بن هند:

بأي مشيئة عمرَو بن هنْد نكونُ لقَيلكُم فيها قَطينا
بأي مشيئةٍ عمرَو بن هَنْـدٍ تُطيْعُ بِنَا الوُشَـاةَ وتَزْدَرِيْنَا[٨٨]

---

(٨٤) ابن سعيد، *نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب*، تحقيق نصرت عبد الرحمن (عمّان: مكتبة الأقصى، ١٩٨٢م)، ١: ٨٧.

(٨٥) أبو عبيدة، *النقائض*، ٢: ٩٩٤.

(٨٦) الفيروزآبادي، *تحفة الأبيه*، ١: ١٠٠.

(٨٧) انظر: المرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٠٥، ٢٠٦، ٣٦٦؛ وأبا عبيدة، *النقائض*، ٢: ٨٨٤، ٨٨٥؛ وابن رشيق، *العمدة*، ١: ٥٧.

(٨٨) ابن الأنباري، *شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات*، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م)، ٤٠١، ٤٠٢. والقَيْل: جمعه أقيال، وهم وزراء الملوك، أو هم ملوك باليمن دون الملك الأعظم. والقطين: الخدم.

وقال أفْنُون التغلبي:

لَعَمْرُكَ ما عَمرو بنُ هند إذا دَعَا ليُخْدمَ أمِّي أمَّهُ بموفق[٨٩]

ومن الملوك الذين ربما نسبوا إلى أمهاتهم حُجر بن الحارث، والد امرئ القيس الشاعر المشهور، وقتلته بنو أسد حين كان ملكا عليهم فبغى وطغى وأسرف. ويسمى أحيانا بحُجْر ابن أم قطَام. قال ابنه امرؤ القيس:

وأنا الذي عَرَفَتْ مَعَدٌّ فَضْلَه ونَشَدْتُ عن حُجْرِ بن أمِّ قطَام[٩٠]

وقال عَبيْد بن الأبْرَص يخاطب امرأ القيس:

لوْ ما عَلَى حُجْرِ بنِ أم قطَامِ تَبْكِي لا عَلَيْنا[٩١]

وقال عَبيْد أيضا:

لا تَبْكِنَا سَفَهَا ولا سَاداتنا وَاجْعَلْ بكاءك لابنِ أمِّ قطَام[٩٢]

وقال أيضا:

سَائلْ بنا حُجْرَ بنَ أمِّ قطَامِ إذْ ظَلَّتْ به السُّمْرُ النَّواهلُ تَلْعَبُ[٩٣]

وقال الحارث بن حلِّزَة اليشكري:

ثُمَّ حُجْرًا أعني ابنَ أمِّ قطَامِ ولَه فَارسِيَّةٌ خَضْرَاءُ[٩٤]

---

(٨٩) ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ١: ٢٣٥. ويشير الشاعر في قوله هذا إلى ما كان بين أم عمرو بن هند وأم عمرو بن كلثوم، وهو ما هاج الخصومة بينهما، وكان سببًا في مقتل عمرو بن هند.

(٩٠) *ديوان امرئ القيس*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤ (القاهرة: دار المعارف، د. ت.)، ١١٨.

(٩١) *ديوان عبيد بن الأبرص*، تحقيق حسين نصار، ط١ (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٧م)، ١٣٦؛ والأصفهاني، *الأغاني*، ٢٢: ٨٣؛ وابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ١: ٢٦٧؛ والبغدادي، *الخزانة*، ٢: ٢١٣.

(٩٢) *ديوان عبيد*، ١٢٢.

(٩٣) *ديوان عبيد*، ٧.

(٩٤) ابن هشام، *السيرة*، ٤: ٤٦؛ وابن الأنباري، *شرح القصائد السبع الطوال*، ٤٩٦. واراد بفارسية خضراء: كتيبة خضراء، سلاحها من عمل فارس.

ومن الملوك المنسوبين إلى أمهاتهم، عمرو بن أمَامة اللخمي، وهو عمرو الأصغر، وهو أخو عمرو بن هند، وأمه أمَامة بنت سَلَمَة بن الحارث الكندي.[٩٥] ومنهم أيضا صاحب الخورنق، النعمان بن الشَّقِيْقَة، والشقيقة أمه، وهي بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان.[٩٦] ومنهم الحارث الأعرج، وأمه مَارِيَة بنت ظالم بن وهب، وإياه عنى حسان بن ثابت بقوله:

أوْلادُ جَفْنَةَ عندَ قبر أبيهمُ قبْر ابن مَارِيةَ الكريم المُفْضل[٩٧]

ومنهم المنذر بن رُومَانْس الكلبيَ، ورومانس أَمَه وأم النعمان بن المنذَر، وهما أخوان لأم.[٩٨]

ومن الخلفاء والولاة الذين ربما نسبوا إلى أمهاتهم، أو أمهات أمهاتهم، عثمان بن عفان، رضي الله عنه، والوليد بن عقبة، وأمهما أرْوَى بنت كُرَيْز بن حَبِيْب، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم، وكان يقال للبيضاء قُبة الدِّيْبَاج، واسمهَا أم حكيم. ولذلك قيل لعثمان وللوليد: يا ابن أروى، ويا ابن أم حكيم.[٩٩] قال سعيد بن العاص في حادثة مقتل عثمان، رضي الله عنه:

صَبَرْنا غَداةَ الدَّار والموتُ وَاقفٌ بأسيافنا دون ابن أرْوَى نُضَارِب[١٠٠]

وقال عمرو بن سفيان المخزومي يخاطب الوليد بن عقبة:

تَرَى أنِّي حَضَضْتُ على ابنِ أرْوَى فَلا تُبْدِي الظنونَ ولا تُعِيْدُ[١٠١]

---

(٩٥) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٠٦.

(٩٦) البغدادي، *الخزانة*، ١: ٢٩٣.

(٩٧) ابن قتيبة، *المعارف*، ٦٠٩.

(٩٨) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ١٨٦؛ والمرزباني، *معجم الشعراء*، ٣٦٧.

(٩٩) المبرد، *الكامل*، ٢: ٧٣٥؛ وابن عبد البر، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، د.ت.)، ٣: ١٠٣٨.

(١٠٠) ابن عساكر، *تاريخ مدينة دمشق (عثمان بن عفان)*، تحقيق سكينة الشهابي (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٤م)، ٤٤٣.

(١٠١) ابن عساكر، *تاريخ مدينة دمشق (عثمان بن عفان)*، ٣٠٧.

وأراد بابن أروى عثمان بن عفان، رضي الله عنه. وقال أبو زُبيد الطائي يمدح الوليد بن عقبة:

مَنْ يرى العيْرَ لابن أروى على ظهـ ـرِ المَرَوْرَى حُدَاتهن عِجَال[١٠٢]

وقال الحطيئة يمدحه:

أرى لابن أرْوَى خَلَّتين اصطفاهما قتالٌ إذا يلقى العَدُوَّ ونائلُه[١٠٣]

ومن الخلفاء معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، وأمه هند بنت عُتْبة، وربما نسب إليها، فيقال معاوية بن هند. ولما جيء إلى معاوية بعبد الله بن هاشم بن عتبة بن مالك، استشار عمرو بن العاص، فأشار عمرو بقتله، ولكن معاوية عفا عنه، فقال عبد الله:

يَرَى لَكَ قتلي يا ابنَ هنْد وإنما تَرَى ما يَرَى عَمْرٌو ملوكُ الأعاجم[١٠٤]

ويقول القُلاخ العَنْبَري، وهو مَخضَرم، وأحد المعمرين:

يُسائلني معاويةُ بنُ هنْد لَقَيْتَ أبا شلالَة عَبْدَ شَمْس؟[١٠٥]

وقال الأشْتَر بن الحارث النَّخْعي، وكان مع علي في حروبه:

بَقَّيْتُ وَفْري وانحرفتُ عن العُلَى ولقيتُ أضيافي بوجه عَبُوْس

إنْ لَمْ أشُنَّ على ابن هند غارة لم تخل يوما من نهَابَ نُفُوْس[١٠٦]

وقال عوف بن عبد الله بن الأحمرً الأزدي، وشهد مع علي صفِّينَ:

ونحن سَمَونا لابن هند بجحفل كَرجْل الدَّبا يُزجي إليه الدَّواهيا[١٠٧]

ومن أشراف العرب وسراتهم عاصم بن جُوَيرية، وهي أمه، وهو عاصم بن قيس التميمي، جاهلي، وكان أشرف رجل في زمانه.[١٠٨] ومنهم قُطْبَة بن الزِّبَعْرَى، والزبعرى

(١٠٢) الأصفهاني، *الأغاني*، ٥: ١٣٣. والمروري: جمع مَرَوْراة، وهي الصحراء.

(١٠٣) الأصفهاني، *الأغاني*، ٥: ١٤٨.

(١٠٤) المبرد، *الكامل*، ١: ٢٨٨.

(١٠٥) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٣٤٠.

(١٠٦) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٣٦٢.

(١٠٧) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٧٧.

(١٠٨) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٧٠.

أمه، وكان قطبة سيد قضاعة في الجاهلية وأول الإسلام، وهو القائل:

حَمَيْتُ القومَ قد علمت مَعَدٌّ ومن للقوم من مَوْلَى وجَارِ
حَبَوْتُ بها قُضَاعة إن مثلي حَقيقٌ أن يَذُبَّ عن الذِّمَارِ
ولستُ كمن يُغَمَّزُ جانباه كغَمزِ التينِ تجنيه الجواريَ[١٠٩]

من نسب إلى أمه من الصحابة

نسب نفر من الصحابة، رضوان الله عنهم، إلى أمهاتهم، وشأن الصحابة شأن سائر العرب، فليسوا بدعا من سواد قومهم وعامتهم. فبالإضافة إلى من سبق ذكره، هناك بُدَيْل بن أمّ أصْرَم، وبشير بن الخَصَاصيَة، وبلال بن حَمَامة، وجُبير بن بُحَيْنة، وأخواه عبد الله ومالك، والحارث بن البَرْصَاء، ورافع بن عُنْجُدَة أو غُنْجُدَة، وسعد بن حَبْتَة، وسعد بن الحنظلية الحارثي، وسعد بن الحنظلية العَبْشَمي، وسعد بن خَوْلَة، وسهل بن الحنظلية الأنصاري، وسهل بن البَيْضَاء، وأخواه سهيل وصفوان، وشُرَحْبيل بن حَسَنَة وأخواه عبد الرحمن وعبد الله، وشَرِيك بن السَّحْمَاء، وعبد الله بن أمِّ حَرَام، وعبد الله ابن أمِّ مَكْتُوم، وعبد الله أو عمر بن اللُّتبيَّة، وقيل ابن الأتبيَّة، وعلقمة بن الفَغْواء وأخوه عمرو، وعمرو بن شَعْواء، وعوف بن عَفْراء وأخواه مُعَاذ ومُعَوِّذ، ومالك بن نُميلة، ويَعْلَى بن مُنْيَة.[١١٠]

من نسب إلى أمه من العلماء

ثمة عدد من العلماء الفضلاء نسبوا إلى أمهاتهم، ومنهم: شيخ الإسلام أحمد بن تَيْميَّة، وإسماعيل بن عُلَيَّة، أحد أئمة الحديث والفقه، وأيوب بن القِرِّيَّة أحد الفصحاء والمَشهورين بالحفظ، ونقل كتبا قديمة إلى العربية، وعاصم بن بَهْدَلَة وهو عاصم بن أبي النَّجُود، أحد القراء المشهورين، ومحمد بن حَبِيْب الراوية الأديب صاحب الكتب

---

(١٠٩) ابن حبيب، *من نسب إلى أمه من الشعراء*، ١: ٨٦.

(١١٠) انظر: الصغاني، *نقعة الصديان*، ٤١ - ٤٦؛ والفيروزآبادي، *تحفة الأبيه*، ١: ١٠٢- ١١٠؛ وابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ٣: ٢٩٤.

والرسائل في الشعر والأخبار، ومحمد بن شَرَف القيرواني الأديب المشهور، ومحمد بن القُوْطيَّة من أهل الحديث والفقه والأدب، ومحمد بن مَاجَه أحد أصحاب دواوين الحديث الستة المعروفة، ويُونس بن حَبِيب الأديب الشاعر.(١١١)

النفر من الإخوة يعرفون بأمهم

قد ينسب الرجل إلى أمه أو يعرف بها دون إخوته منها، وربما كانت أنبه وأشهر حتى يعرف بها كل بنيها. وقد تقدم ذكر جبير بن بُحَينة وأخويه عبد الله ومالك، وشُرحبيل بن حَسَنَة وأخويه عبد الرحمن وعبد الله، وعوف بن عَفْراء وأخويه معاذ ومُعَوِّذ، ومن هؤلاء النفر المنسوبين إلى أمهاتهم بنو أم قِرْفَة، وهم أولاد مالك بن حذيفة بن بدر من هذه المرأة، ويضرب بها المثل في العز بهم، وقتلت هي وبنوها العشرة في غزوة زيد بن حارثة على بني فَزارة.(١١٢) ومنهم أبناء رُمَيلة، تَوْبَة بن مُضَرِّس التميمي وإخوته، وكان هو وإخوته يعرفون بها، وهي رميلة بنت عوف بن علقمة الحُدَّاني.(١١٣) وبنو حَبْناء، منهم المغيرة وصخر ويزيد، وهي أمهم، وأبوهم عمرو بن ربيعة.(١١٤) ومنهم ابنا حَبْناء بنت وائلة بن كعب، وهما بَلْعاء وجَثَّامة ابنا قيس الكناني، وقيل هي جدتهما.(١١٥)

القبائل أو فروعها تنسب إلى الأمهات

والأصل في مثل هذا أن ينسب الرجل أو النفر من الأبناء - كما تقدم - إلى أمهم، ثم تتصل هذه النسبة جيلا بعد جيل حتى تعرف القبيلة أو الفرع منها بالأم، فيقال مُزَينة وجَدِيْلة وبَجِيْلة . . . إلخ، علما على القبيلة أو على الفرع منها. جاء في كتب الأخبار

---

(١١١) انظر: *تحفة الأبيه*، ١:١٠١، ١٠٢، ١٠٨، ١١٠.

(١١٢) ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٥ (القاهرة: دار المعارف، د. ت.)، ٢٥٧؛ ابن سعيد، *نشوة الطرب*، ٢:٥٥٣.

(١١٣) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ٦٩.

(١١٤) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ١٠٥.

(١١٥) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ١٠٦.

والأنساب: وولد إلياس بن مُضَر عَمْرا، وهو مُدْركة، وعامرا، وهو طابخة، وعُميرا، وهو القَمَعَة، وأمهم خنْدف، وهي ليلى بنت حُلْوان بن عمْران بن الحَاف بن قُضَاعة. فجميع ولد إلياس من خندف، وكذلك يقال لهم خندف، لأنها أمهم وإليها ينسبون.[١١٦] وعبد مناف بن زُهْرة، أمه زُهْرة، وإليها ينسب ولَدها دون الأب، قال ابن قتيبة: ولا أعرف اسم الأب، وقد أقيمت في التذكير مقام الأب.[١١٧] ومن بني طابخة بن إلياس مُزَينة، وهم بنو عمرو بن أدّ بن طَابخَة، وهي مزينة بنت كلب بن وبرة، تزوجها عمرو فولدت له عثمان وأوسا فغلبت أمهما على نسبهما.[١١٨] وبَجيلة، هم عبقر والغوث وصهيب ووداعة وأشهل، نسبوا إلى أمهم بجيلة بنت صعب بن سَعد العشيرة، تزوجها أنمار بن إراش، قال ابن الكلبي: ويقال إن بجيلة امرأة حبشية كانت قد حضنت بني أنمار جميعا غير خَثْعم،[١١٩] وبنو مُرة بن صَعْصَعة، يعرفون ببني سَلُول، لأنها أمهم فغلبت عليهم.[١٢٠] أما باهلة فهم بنو معن بن أعصر نسبوا إلى أمهم باهلة، وهي امرأة من هَمْدان نسب ولد معن إليها.[١٢١] أما العَبَلات فهم بنو أمية الأصغر بن عبد شمس، سموا بهذا لأن أمهم عَبْلَة بنت عُبيد بن حارك، من بني تميم.[١٢٢] ويقال لعَدْوان وفَهْم ابنا جَديلة، نسبا إلى أمهما جديلة بنت مُدركة بن إلياس، وإليها ينسب الجدليون.[١٢٣] فأما جَديلة طيء فهم بنو جُنْدَب وبنو حُور، وأمهما جديلة، وبها يعرفون.[١٢٤] أما عامر وطفَيل

---

(١١٦) الأصفهاني، *الأغاني*، ١: ١٢؛ وابن عبدربه، *العقد الفريد*، ٣: ٢٥٨؛ وابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، ١٠.

(١١٧) ابن قتيبة، *المعارف*، ١٣١.

(١١٨) الأصفهاني، *الأغاني*، ١٢: ٥٤؛ وابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ٣: ٢٥٩، ٢٦٣؛ وابن سعيد، *نشوة الطرب*، ١: ٤٧١.

(١١٩) الأصفهاني، *الأغاني*، ٢٢: ١، و ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ٣: ٣٠٣.

(١٢٠) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٣٣٨، وابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ٢: ٦٥١.

(١٢١) ابن قتيبة، *المعارف*، ٨٠؛ وابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ٣: ٢٧٠.

(١٢٢) الأصفهاني، *الأغاني*، ١١: ٢٩٣؛ وابن قتيبة، *المعارف*، ٧٢.

(١٢٣) الأصفهاني، *الأغاني*، ١٦: ١٠٢؛ وابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ٣: ٢٦٩.

(١٢٤) ابن دريد، *الاشتقاق*، ٣٨٠؛ و ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ٣: ٣١٣.

وربيعة وعبيدة ومعاوية أبناء مالك بن جعفر بن كِلاب فيعرفون ببني أم البنين، وهي أمهم، قال لبيد بن ربيعة:

نَحْـنُ بَنِي أمِّ البنيـنَ الأرْبَعَة [١٢٥]

أما كعب وكلاب وعامر بنو ربيعة بن عامر، فهم بنو مَجْد، ينسبون إلى أمهم مجد بنت تيم بن غالب بن فهْر القرشية، قال لبيد:

سَقَى قومي بني مَجْد وأسْقَى نُميرا والقبائلَ من هـلال [١٢٦]

وبنو خزيمة بن لؤي يعرفونَ بأمهم عَائذَة بنت الخمْس بن قُحَافَة الخَثْعَمي، فهم عائذة قريش. [١٢٧] ومن بني نزار، بنو الكلبة، وهي أمهم، من بني تميم، قال الشاعر يمدحهم:

سـيكفيكَ من ابني نـزار لراغب بنو الكَلْبة الشُّمُّ الطِّوالُ الأشَاجعُ

ولبني الكلبة عدد وجَلد، قالَه ابنُ دريد: [١٢٨] وممن نسـب من القبائل إلى الأمهات بنو العَدَويَّة من تميم. [١٢٩] وبنو طُهَيَة، [١٣٠] وبنو الطُّفَـاوة، [١٣١] وبنـو الشَّـقيقة، [١٣٢] وبنـو الغَيْطَلَة، [١٣٣] وبنـو الورْنَة، [١٣٤] وبنو العُقْدَة، [١٣٥] وبنو رَقَاش، [١٣٦] وبنو رُقَيّة، [١٣٧] وبنو

---

(١٢٥) ابن قتيبة، *المعارف*، ٨٩.

(١٢٦) ابن قتيبة، *المعارف*، ٨٧؛ وابن سعيد، *نشوة الطرب*، ٢: ٥٠٢.

(١٢٧) ابن دريد، *الاشتقاق*، ١٠٧؛ والمرزباني، *معجم الشعراء*، ٤٠٤؛ والآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ٧٩.

(١٢٨) ابن دريد، *الاشتقاق*، ٣١٩.

(١٢٩) ابن قتيبة، *المعارف*، ٧٧.

(١٣٠) ابن قتيبة، *المعارف*، ٧٧؛ وابن سعيد، *نشوة الطرب*، ١: ٤٥٨.

(١٣١) ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ٣: ٢٧٠.

(١٣٢) ابن قتيبة، *المعارف*، ١٠١.

(١٣٣) ابن حبيب، *المنمق*، ١١١.

(١٣٤) ابن قتيبة، *المعارف*، ١٠٠.

(١٣٥) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ١٤٨.

(١٣٦) المبرد، *الكامل*، ٢: ٧٢١.

(١٣٧) الأصفهاني، *الأغاني*، ١٢: ٢١٠.

رُهْم،[١٣٨] وبنو ظَاعِنَة.[١٣٩]

من نسب إلى أمه من أبناء الإماء والسبايا

ربما نسب الرجل إلى أمه لشهرتها نباهة، أو ضعة، تشريفا أو تحقيرا. وإذا ما كانت الأم أمة فربما نسب الولد إليها، لأن الأب يستعبد أبناء أمته - وقد تقدم أن العرب كانت تفعله - فإذا ظهرت فيه علامات الشرف والرجولة استلحقه ونسبه إليه. ومن أبناء الإماء أو السبايا الذين نسبوا إلى أمهاتهم السُّليك بن السُّلَكَة، وهو السُّلَيك ابن يَثْربي بن سنَان التميمي، والسُّلكة أمه، وكانت سوداء حبشية، وعد السليك من أغربة الَعرب.[١٤٠] ومنهم خُفَاف بن نَدْبة، وهو خُفَاف بن عُمَير بن الحارث السُّلَمي، ونَدْبة أمه، وكانت أمة سوداء، وإليها ينسب، وكان خفاف أحد أغربة العرب أيضا. وهو القائل:

كـلاَنا يُسَـــــوِّده قَـوْمُهُ على ذلكَ النَّسَبِ المُظْلِم[١٤١]

ومنهم ابَن عَجْلَى، وهو عبد الله بن خازم الأسدي، وَأمه عَجْلى، وكانت أمة سوداء، وهو أحد غربان العرب في الإسلام، وفيه قال الفرزدق:

عَضَّتْ سيوفُ تميم حين أغضبهـا رَأسَ ابنِ عَجْلى فأضحى رأسه شذبا[١٤٢]

ومنهم الأشْهَب بن رُمَيْلة، وهو الأشهب بن ثورَ بن أبي حارثة، ورميلة أمه، وكانت أمة لخالد بن مالك بن ربعي، قال أبو عمرو بن العلاء: ولدها يزعمون أنها سبية من سبايا العرب. وكان أبوهم ثور ابتاع رميلة في الجاهلية وولدتهم في الجاهلية فعزوا عزا كثيرا.[١٤٣] ومنهم ابن مَيَّادة الشاعر، واسمه الرَّمَّاح بن أبْرد بن زبان، من بني دُبيان،

---

(١٣٨) ابن دريد، *الاشتقاق*، ١١٣.

(١٣٩) ابن قتيبة، *المعارف*، ٧٥.

(١٤٠) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ١٣٧؛ والمبرد، *الكامل*، ٢: ٤٦٠.

(١٤١) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ١٠٨؛ وابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ١: ٣٤١؛ والأصفهاني، *الأغاني*، ١٨: ٧٤؛ وابن قتيبة، *المعارف*، ٣٢٥.

(١٤٢) المبرد، *الكامل*، ١: ٢٠٦. والشَّذَب: هو المأكول. وأشذاب العشب وغيره: بقاياه.

(١٤٣) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ٦٨؛ والأصفهاني، *الأغاني*، ٩: ٢٦٩؛ والمبرد، *الكامل*، ١: ٥٠؛ والبغدادي، *الخزانة*، ٦: ٣٠، ٣١.

وسبادة أمه، وكانت أمة سوداء راعية، وهو شاعر مشهور.[١٤٤] ومنهم زياد بن هنْداية، وهنداية أمه، وكانت سوداء، واسمه زياد بن حارثة بن عوف بن السَّكُون، وكانَ فارسا مشهورا.[١٤٥] ومنهم السَّنْدريّ بن عَيْساء الجعفري، وعيساء أمه، وهي أمة لشريح بن الأحوص بن جعفر، وقيل عيساء اسم جدته،[١٤٦] ومنهم ابن طَوْعَة الشيباني، واسمه ناصر بن عاصم، وأمه طوعة أمة أو أخيذة من آل ذي الجَدَّيْن.[١٤٧] ومنهم عمرو بن شُجَيرة العجْلي، وشجيرة أمه، وكانت سبية، وهو عمرو بن عبد الله بن حذافة.[١٤٨] ومن فروعَ القبائل بنو أشَاءَة، من بني زيد بن كهلان، وأشاءة أمة من حضرموت بها يعرفون.[١٤٩] ومن بني دُهْل بن شيبان عمرو بن ذهل، وأمه جذْرَة، سبية من اليمن، فهم يدعون بني الجذرة.[١٥٠] والعرب - في الجملة - تنظر إلى أبناءَ الإماء والسبايا نظرة خاصة لا تخلو من قدر من الازدراء والدونية، وأبناء الإماء كانوا يدركون هذا في مجتمع يقوم على العصبيات القبلية، وعلى التفاخر بالأنساب والأحساب. ولعل مما يدخل في هذا قول عمرو بن شَأس، ويكنى أبا عَرار، وكانت أم عَرار سوداء، وكانت امرأة عمرو تؤذي عرارا، فقال عمرو:

أرادت عَرارا بالهَوَان ومن يُرِدْ عرارا لعمري بالهوان فقد ظَلَمْ
وإن عرارا إن يكن غيرَ واضحٍ فإني أحبُّ الجَوْنَ ذا المنكب العَمَمْ[١٥١]

وقال رجل من ولد الحكم بن أبيٍ العاص يقالَ له عبيد الله بن الحُرّ، وكان شاعرا، وكان لأم ولد، وهو من ولد مروان بن الحكم:

---

(١٤٤) الفيروزآبادي، *تحفة الأبيه*، ١: ١٠٤، ١٠٥؛ وابن حبيب، *من نسب إلى أمه*، ١: ٩١؛ والبغدادي، *الخزانة*، ١: ١٦٠.

(١٤٥) الفيروزآبادي، *تحفة الأبيه*، ١: ١٠٥.

(١٤٦) ابن حبيب، *من نسب إلى أمه من الشعراء*، ١: ٨٥.

(١٤٧) ابن حبيب، *من نسب إلى أمه من الشعراء*، ١: ٨٤.

(١٤٨) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٢٤.

(١٤٩) ابن دريد، *الاشتقاق*، ٣٦٤. والأشاءة: الفسيلة المتمكنة كثيرة السعف.

(١٥٠) ابن قتيبة، *المعارف*، ١٠٠.

(١٥١) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٢١٢. والواضح: الأبيض. والجون: الأسود.

فإنْ تكُ أمي من نسـاء أفاءها جيادُ القنا والمرهفات الصَّفَائح
فَتَبا لفضل الحُر إن لم أنل بـه كرائمَ أولادِ النساءِ الصَّـرائح

وإنما أخذ هذا من قول عنترة:

وأنا امرؤ من خير عبس منصبا شَطْري وأحْمي سَائري بالمُنْصل[١٥٢]

ومع هذه الجفوة من العرب للهجناء من أبناء الإماء - وخاصة إذا كن من العجم - إلا أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: ليس قوم أكيس من أولاد السراري، لأنهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم. ولعل عمر أراد بهذا القول أن يخفف من غلواء هذه العصبية القبلية، وهو خليفة رسول الله، ﷺ، لأن كثيرا من العرب يأنفون أن يكونوا أبناء لإماء. ومثاله ما كتبه محمد بن عبدالله بن حسن بن علي بن أبي طالب إلى المنصور، وفيه: واعلم أني لست من أولاد الطلقاء ولا أولاد اللعناء، ولا أعرقت في الإماء، ولا حضنتني أمهات الأولاد.[١٥٣]

من نسبوا إلى أمهاتهم من الشعراء

لعل الشعراء هم أكثر العرب حظوظا في كتب التراث، من حيث العناية بأخبارهم وأنسابهم وجمع أشعارهم، لأن الشعر هو ديوان العرب ومستودع أخبارهم، وهو الفن الأول عندهم. ولذا قال عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما؛ إذا أشكل عليكم شيء من القرآن فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب. وقد ألفت كتب ورسائل في الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم، كما سبق في مقدمة هذا البحث، لابن حبيب والمدائني والسكري. منها ما هو موجود محقق كرسالة ابن حبيب، ومنها ما هو مفقود ضائع لم يعثر عليه بعد ككتابي المدائني والسكري.

ومن الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم: أرْطاة بن سُهَيَّة، وسهية أمه، وهو أرْطاة بن زفر بن عبد الله بن مالك الذبياني.[١٥٤] وأسْعد بن الغَدِيْر وأخوه بَشَامَة بن الغدير، وهما

---

(١٥٢) المبرد، *الكامل*، ٢: ٤٦٣.

(١٥٣) المبرد، *الكامل*، ٢: ٤٦٦.

(١٥٤) ابن دريد، *الاشتقاق*، ٢٩٠؛ والأصفهاني، *الأغاني*، ١٣: ٢٩.

ابنا عمرو بن هلال بن واثلة بن سَهْم بن مُرَّة.[١٥٥] وبشار بن جُمَانة[١٥٦] وجَرير بن الخَرْقاء، وهو ابن طارق بن سُفيح بن عُليم بن سعد بن قيس.[١٥٧] وحَرْمَلَة بن عَلَسَة أو عَسَلَة، وأخواه عبد المسيح والمسيَّب،[١٥٨] وابن دَارَة، وهو سالم بن دارة، ودارة اسم أمه، قال ابن قتيبة: وهي من بني أسد، وسميت بذلك لأنها شبهت بدارة القمر من جمالها، وهو القائل:

أنا ابنُ دارةَ مشهورا بها نَسَبي وهل بدارةَ يا للنَّاس منْ عَار[١٥٩]

ومنهم ابن الدُّمَيْنَة الخثعمي، وهو عبيد الله بن عبد الله.[١٦٠] وذو الخرَق بن شُعَاث الشاعر، واسم أبيه نُباتة.[١٦١] وابن زَيَّابة، وزيابة اسم أمه، وهو القائل:

أنا ابنُ زَيَّابة إن تَدْعُني آتكَ والظنُّ على الكاذبِ[١٦٢]

ومنهم أيضا سُوَيْد بن كُرَاع العُكْلي، وهو سويد بن عمرو.[١٦٣] وشَبيْب بن البَرْصَاء، وهو شبيب بن يزيد الذبياني، واسم أمه قرْصافة بنت الحارث بن عوف، ولقبت بالبرصاء لبياضها، لا لأنها كان بها برص.[١٦٤] وعِتْبان بن أصيْلة - ويقال وَصيْلة -

---

(١٥٥) ابن حبيب، *من نسب إلى أمه*، ١: ٩١.

(١٥٦) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ٨١.

(١٥٧) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ٧١.

(١٥٨) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٣٨٥؛ وابن حبيب، *من نسب إلى أمه*، ١: ٩٤.

(١٥٩) البغدادي، *الخزانة*، ٣: ٢٦٥.

(١٦٠) الأصفهاني، *الأغاني*، ١٧: ٩٣؛ وابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ٢: ٧٣١؛ وابن حبيب، *من نسب إلى أمه*، ١: ٨٨.

(١٦١) الفيروزآبادي، *تحفة الأبيه*، ١: ١٠٤.

(١٦٢) البغدادي، *الخزانة*، ٥: ١٠٩.

(١٦٣) ابن رشيق، *العمدة*، ٢: ٩٥؛ والسيوطي، *المزهر*، ٢: ٤٤٧؛ والفيروزآبادي، *تحفة الأبيه*، ١: ١٠٦.

(١٦٤) ابن حبيب، *من نسب إلى أمه*، ١: ٩٠؛ والأصفهاني، *الأغاني*، ١٢: ٢٧١؛ والسيوطي، *المزهر*، ٢: ٤٤٦.

الشيباني، وهي أمه، من بني مُحَلِّم، وأبوه شراحيل بن شَرِيْك الشيباني.[١٦٥] وعَجْلان ابن خُلَيْدة الهُذَلي، وخليدة أمه.[١٦٦] وعَدي بن الرَّعْلاء الغَساني، والرعلاء أمه.[١٦٧] وعمرو بن الإطْنَابة، والإطنابة أمه، وهي امرأة من بني كنانة بن القَيْس بن جَسْر بن قُضَاعة، واسم أبيه زيدَ مناة.[١٦٨] وعوف بن الغَامديَّة، والغامديَة أمه، من الأزد، وهو من عَدْوان، شاعر جاهلي.[١٦٩] وعيَاض بن أم سَهْمَةَ، أو شَهْمَة، الخزاعي، شاعر إسلامي.[١٧٠] ومن يقال له ابن الفُرَيْعة، منهم حسان بن ثابت، وموسى بن جابر الحنفي.[١٧١] وممن نسبوا إلى أمهاتهم من الشعراء أيضا، قَعْنَب بن أم صاحب الفَزاري،[١٧٢] وقَيْس بن الحُدَادية الخزاعي، والحدادية أمه، وهو قيس بن مُنْقذ بن عُبيد.[١٧٣] وكَثِيْر بن الغَرِيْزَة التميمي، أحد بني نَهْشَل، والغريزة أمه، شاعر مخضرم، ووردت الغريرة بالمهملة.[١٧٤] وابن كَلْحَبة اليربوعي، واسمه هُبيرة بن عبد مناف، وكلحبة أمه.[١٧٥] والمغيرة بن حَبْنَاء التميمي، وحَبْناء أمه، واسمها ليلى.[١٧٦] ويزيد بن الطَّثْرِيَّة، والطثرية أمه، وهو ابن عُبيد بن عَمرو ابن الحارث بن كعب.[١٧٧]

---

(١٦٥) ابن حبيب، *من نسب إلى أمه*، ١: ٩٥؛ والمرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٦٦.

(١٦٦) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٣٠٢.

(١٦٧) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٥٢.

(١٦٨) ابن حبيب، *من نسب إلى أمه*، ١: ٩٥؛ وابن منظور، *اللسان*، (شعل).

(١٦٩) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٧٧.

(١٧٠) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٦٩؛ وابن حبيب، *من نسب إلى أمه*، ١: ٨٧.

(١٧١) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ١٦٥.

(١٧٢) ابن حبيب، *من نسب إلى أمه*، ١: ٩٢.

(١٧٣) ابن حبيب، *من نسب إلى أمه*، ١: ٨٦؛ والمرزباني، *معجم الشعراء*، ٣٢٥؛ والأصفهاني، *الأغاني*، ١٤: ١٤٥.

(١٧٤) الأصفهاني، *الأغاني*، ١١: ٢٧٨.

(١٧٥) ابن منظور، *اللسان*، (حلف).

(١٧٦) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٣٦٩.

(١٧٧) ابن حبيب، *من نسب إلى أمه*، ١: ٨٩؛ وابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ١: ٤٢٧؛ والسيوطي، *المزهر*، ٢: ٤٤٧.

ولعل هؤلاء من أشهر الشعراء الذين نسبوا إلى أمهاتهم، وهم الذين يرد لهم ذكر ولأشعارهم رواية في كتب التراجم والأدب، غير أن المصادر قد أشارت إلى شعراء آخرين نسبوا إلى أمهاتهم، وهم أقل من أولئك ورودا في المصادر. فعند ابن حبيب نجد شعراء نسبوا إلى أمهاتهم كابن أم حَزْنة العَبْدي، وهو ثعلبة بن حَزْن، وأم حزنة أمه، وابن أم حَوْليّ، من بني الحارث بن همام. وبشر بن شَلْوة التغلبي، وشلوة أمه، وهو بشر بن سَوادة. وحَبيْب بن خُدْرة الهلالي، خارجي. وابن حَجْلة الأسدي، واسمه عَبْد بن مُعَرِّض، من بني أسد. وحُمَيد بن طاعة السَّكُوني. وابن دَغْماء العجْلي، أمه دغماء بنت مرة. وربيعة بن غزالة الكندي، شاعر حليف لبني شيبان. وزُمَيْل بن أم دينار الفَزاري. وابن السَّجْراء الجهني. وابن شَعُوب، أمه شعوب الخزاعية، واسمه عمرو بن سُمَيّ بن كعب، من كنانة. والعُرْيان بن أم سَهْلَة النبهاني، من طيء. وعَطَّاف بن بَشَّة الشيباني. وعَمرو بن الصَّمَّاء الخزاعي. وعمرو بن مُبَرِّدة العَبْدي. وابن عَيْزارة الهذلي، وهو قيس ابن خويلد. وقُطْبَة بن الزِّبَعْرى، وهو قطبة بن زيد بن سعد، وكان قطبة سيد قضاعة في الجاهلية وأول الإسلام. وابن الهَيْجُمانة العبسي، والهيجمانة بنت العنبر بن عمرو بن تميم. وابن الواقفية السدوسي، وهو عبد الله بن عبد العزى. ويزيد بن ضَبَّة، أمه ضبة، وأبوه مقْسَم، وهو مولى لثقيف.[١٧٨] ونجد عند المرزباني شعراء نسبوا إلى أمهاتهم من أمثال: عاصم بن جويرية، وجويرية أمه، وهو عاصم بن قيس التميمي، جاهلي، كان أشرف رجل في زمانه. والعباس بن رَيْطَة الرِّعْلي، وريطة أمه، وهو العباس بن عامر، شاعر جاهلي. وعَقيل بن حسان الكلبي، يعرف بابن الدَّكُوك، وهي أمه. وعُمير بن الصَّمَّاء الخزاعي، والصماء أمه، وهو عمير بن عياض. وابن عَنْقاء الفَزَاري، وعنقاء أمه، وهو قيس بن بَحْرة، وقيل عبد قيس، شاعر مخضرم. وعياض بن دُرَّة الطائي، ودرة أمه، وهو أحد بني ثعلبة بن سَلامان، شاعر إسلامي. والقعقاع بن ربْعيَّة القُشَيري، وربعية أمه. وكُلْثُوم بن أوْفى التميمي، يعرف بابن قسيْمة، وهي أمه وإليها ينسب. ومالك ابن حطَّان بن عوف، يعرف بابن الجَرْميَّة، وهي أمه. ومالك بن عميرة بن زُرارة الجَرشي،

---

(١٧٨) ابن حبيب، *من نسب إلى أمه*، ١: ٨٣ - ٩٤.

ويعرف بابن مُوركة، وهي أمه. ومالك بن قُراضة الأسَدي، وقُراضة أمه. ومُعْتِق بن حَوْراء الزُّبيدي، وحوراء أمه. والمنذر بن حسان بن الطَّرامَة الكلبي، والطرامة أمه غلبت عليه. ويزيد بن قَهْرة التميمي، شاعر جاهلي، وهو فارس كعب بن عمرو بن تميم، وقهرة أمه.[١٧٩]

أما الآمدي فذكر من الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم غير من سبقوا: حُجْرا العبسي، يقال له ابن جَيْداء، وجيداء أمه. وحُميد بن طَاعة، وطاعة أمه. وعباد بن حلِّزة الذُّهلي، وحلزة أمه، وهو عباد بن عبد عمرو. وعبد الملك بن جُمانة الباهلي، وجمانةَ أمه. وعنترة ابن عُكْبُرَة الطائي، وعُكْبُرَة أم أمه وبها يعرف. وابن المُحَدَّقة القشيري، واسمه كُهَيل بن مالك، والمحدقة أم أبيه. وابن مِيْناس المرادي، وميناس أمه.[١٨٠]

تخير الأمهات عند العرب

كان العرب يعتقدون أن نجابة الولد من نجابة أمه وأخواله، ولهذا كانوا يتخيرون من النساء حرائرهن ذوات الأصول المعرقة والأنساب الخالصة، وكان هذا مقدما عندهم على نضارة المرأة وجمالها. قال جرموز المازني لقطري بن الفجاءة، وهو بين الصفين في الحرب: هل أصبت بعدي ولدا؟ قال: نعم، فدعا بغلام شاب على برذون، فقال جرموز: لعلك أفسدته بشيء من هذه الأعاجم ومن هذه السبايا، قال: معاذ الله، أمه الرَّجْناء بنت الحَبْناء.[١٨١] وقال غيلان بن سلمة لما حضرته الوفاة، وكان قد أحصن عشرا من نساء العرب في الجاهلية: يا بنيَّ قد أحسنت خدمة أموالكم، وأمجدت أمهاتكم، فلن تزالوا بخير ما غذوتم من كريم وغذا منكم، فعليكم ببيوتات العرب، فإنها معارج الكرم.[١٨٢] وكان للعُجَير السَّلُولي الشاعر ابن يقال له الفرزدق، وفيه يقول العجير:

---

(١٧٩) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٧٠، ٢٦٣، ٣٠٢، ٢٤٣، ٣٢٣، ٢٦٩، ٣٢٩، ٣٥١، ٣٦٣، ٣٦٥، ٤٧٢، ٣٦٧، ٤٩٥.

(١٨٠) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ١٠٤، ١٤٩، ٩٠، ٨٠، ١٥٢، ١٨٩، ١٨٦.

(١٨١) الجاحظ، *البرصان والعرجان*، ٩٧.

(١٨٢) الأصفهاني، *الأغاني*، ١٣: ٢٠٥.

ولقد وَضَعْتك غَيْر مُتَّــرك من جابر في بيتها الضخم
واخترتُ أمَّكَ من نســائهمُ وأبوكَ كَلٌّ عَذَوَّر شــهْم(١٨٣)

وقالت قُتيلة بنت النَّضْر بن الحارث، أو أخته، في شأن النبي، ﷺ:

أمحمدٌ ها أنت نَجْـل نَجيْبَـة من قومها والفَحل فَحل مُعْرِق(١٨٤)

وقال تأبط شرا في شأن غلام من خَثعمَ، كان قد قتله:

تَمَنَّى فتى منّا فلاقى، ولم يَكَدْ غلاما نَمَتْه المُحْصَناتُ الكرائـم(١٨٥)

وقال حسان بن ثابتَ يذكر فرار الحارث بن هشام يوم بدر:

لَوْ كُنْـتَ ضِنْءَ كريمـة أبليتَهـا حُسْنَى، ولكنْ ضِنْءُ بنتِ عُقَاب(١٨٦)

وقال ابن مُفَرِّغ الحِمْيري يهجو عباد بن زياد:

جَاءتْ به حَبَشـيَّةٌ سَكَّاءُ تحسبها نعامة(١٨٧)

وقال الحطيئة يهجو الحصين بن لقمان العبسي:

وأمـكَ حَمْـراء رُوميــةٌ لنقل الحشيشِ جُرَاز الحَطَب(١٨٨)

وقال الشَّنْفَرى الأزدي:

---

(١٨٣) الأصفهاني، *الأغـاني*، ١٣: ٧٠.

(١٨٤) الأصفهاني، *الأغـاني*، ١: ١٩؛ وابن هشام، *السيرة النبوية*، ٣: ٤٥. والعَذَوَّر: شديد النفْس.

(١٨٥) *ديوان تأبط شرا*، جمع وتحقيق علي ذو الفقار شاكر، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٤م)، ٢٩١.

(١٨٦) *ديوان حسان*، تحقيق وليد عرفات (بيروت: دار صادر، ١٩٧٤م)، ١: ٢٩٨، وبنت عقاب: أمة كانت لبني تغلب.

(١٨٧) الأصفهاني، *الأغاني*، ١٨: ٢٦٠.

(١٨٨) *ديوان الحطيئة*، تحقيق نعمان أمين طه، ط١ (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٨م)، ٢٩٧. قال شارح الديوان: ويعني بنعتها بحمراء، أنها أعجمية ليست عربية، والغالب على نساء العرب السمرة والأدمة، وعلى ألوان العجم البياض والحمرة، وكثيرًا ما هجوا بالعلوج الحمر. والعرب تسمي الموالي الحمراء، وكثيرًا ما هجا جرير البعيث بأن أمه حمراء العجان، نـظـرًا لأنها كانت أمة من أصبهان. ومعنى جُراز الحطب: أي سريعة في قطع الحطب.

أنا ابنُ خيار الحُجْر بيتا ومَنْصبا وأمي ابنةُ الأحرارِ لو تعرفينها[١٨٩]

وقال يزيد بن مُكَسِّر العجْلي يجيب النَابغة الذبياني:

لو كنتُ هَيابا أَو ابنَ لئيمـــــة لأعطيتُ ما تَرْضَى به سَخَطُ الخَصْم
ولكنْ تمطَّتْ بي حَصَـانٌ نجيبـــةٌ جَميْلُ المحيا، من نسـاء بني غُنْم[١٩٠]

وقال الحكم الخُضَري يرد على ابن مَيَّادة فخره بأبيه ظالم وأمه الفارسية:

ومَالَكَ فيهم منْ أبٍ ذي دَسِيْعةٍ ولا ولدتكَ المُحْصَنَاتُ الكرائم[١٩١]

وقال قَطَرِيّ بن الفُجَاءَة:

وضاربة خدا كريما على فتى أغرَّ نجيبَ الأمهـاتِ كـريم[١٩٢]

وقال القَتَّال الكلابي:

أنا ابنُ أسْـماءَ أعمامي لها وأبـي إذا ترامى بنو الأمْوان بالعـــار
لا أرضعُ الدهرَ إلا ثَدْيَ واضحة لواضحِ الخد يحمي حَوْزة الجارَ

وقوله: إذا ترامى بنو الأموان بالعارِ، فالأموانَ جمعَ أمة. وقوله: لا أرَضع الدهر إلا ثدي واضحة، يقول إنما ترضعني أمي وليست غير كريمة، وقوله: واضحة، أي خالصة في نسبها، وليست بأمة.[١٩٣]

وكان عبد الله بن الزبير يقعد مع معاوية، رضي الله عنهم، على سرير، فلا يقدر معاوية أن يمتنع منه، فقال ذات يوم: أما أحد يكفيني ابن الزبير؟ فقال الوليد بن عقبة: أنا أكفيكه، وقال:

ولولا حُرَّةَ مَهَدَتْ عليكـم صَفيّةُ ما عُدِدْتُـم فـي النَّفيْـر
ولا عُرِفَ الزبيـرُ ولا أبـوه ولاَ جَلَسَ الزبيرُ على السَرِيرِ

---

(١٨٩) الأصفهاني، *الأغاني*، ٢١: ١٨٠.
(١٩٠) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٤٩٦.
(١٩١) الأصفهاني، *الأغاني*، ٢: ٢٦٢.
(١٩٢) الأصفهاني، *الأغـاني*، ٦: ١٤٨.
(١٩٣) المبرد، *الكامل*، ١: ٥١.

وَددْنا أن أمكـــمُ غـــرابٌ فكنتمْ شَـرَّ طيرٍ في الطيـــور[١٩٤]

وربما نجا دهاتهم وحلماؤهم من مثل هذا التعريض واللمز بفضل حلمهم ودهائهم، ومن هؤلاء الدهاة عمرو بن العاص، رضي الله عنه، وقد كانت أمه سبية من السبايا. وجاء في أخباره أنه دخل مكة يوما فرأى قوما من قريش قد جلسوا حلقة، فلما رأوه رموه بأبصارهم، فعدل إليهم، فقال: أحسبكم كنتم في شيء من ذكري، قالوا: أجل كنا نميل بينك وبين أخيك هشام، أيكما أفضل، فقال عمرو: إن لهشام علي أربعة، أمه ابنة هشام ابن المغيرة، وأمي من قد علمتم . . . إلخ. وفي خبر آخر قال عمرو لرجل سأله عن أمه لينال منه، وقال أردت أن أعرف أم الأمير، فقال عمرو: نعم كانت من عنزة ثم من بني جلان، تسمى ليلى، وتلقب النابغة.[١٩٥] وقدم الأحنف بن قيس على عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في أهل البصرة وأهل الكوفة، فتكلم عنده الأحنف، فقال عمر: هذا والله السيد، هذا والله السيد. فأراد زيد بن جبلة أن يضع منه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه ليس هناك، وأمه باهلية، فقال الأحنف:

أنا ابنُ الباهليَّـــة أرضعتنـــي بثـدي لا أجـدَّ ولا وَخيـم
أغُضُّ على القَذَى أجْفَانَ عيني إذا شَـرَّ السـفيهُ إلى الحَليـم[١٩٦]

على أن بعضهم ربما تعصب لأبيه دون أمه، لأنها من غير قبيلته، وذلك بتأثير العصبية القبلية التي كانت ضاربة أطنابها في المجتمع العربي. قال المبرد: حدثني شيخ من الأزد ثقه عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت وهو يدعو لأبيه، فقيل له: ألا تدعو لأمك، فقال: إنها تميمية.[١٩٧]

ومثل هذه العصبيات القبلية ربما جاءت في سياق المناظرات والمهاجاة بين الشعراء، على نحو ما قاله المُسَاوِر بن هِنْد العَبْسي يهاجي المَرَّار بن سعيد الفَقْعَسي الأسَدي:

---

(١٩٤) الجاحظ، *الحيوان*، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢ (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٥-١٣٨٧هـ)، ٣: ٣٢. وأراد صفية بنت عبد المطلب، وكانت أم الزبير بن العوام.

(١٩٥) المبرد، *الكامل*، ٣: ٨٠٤.

(١٩٦) ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ١: ٢٦٤، ٢٦٥.

(١٩٧) المبرد، *الكامل*، ١: ٢٩٢.

ما سرني أن أمي من بني أسـد وأن ربي ينجيني من النـار
وأنهم زوجوني من بناتهم وأن لي كل يوم ألف دينـار

فقال له المرار:

لستَ إلى الأم من عبس ومن أسد وإنما أنتَ دينارُ بنُ دينـار
وإن تكن أنت مَن عبس وأمهم فأمُّ عَبْسكُمُ منْ جارة الجَار[١٩٨]

على أن العرب ربما كرهت تقارب الآباء من الأمهات في النسب، لأن ذلك يضوي الولد، كما جاء في الأثر «اغتربوا لا تُضووا»،[١٩٩] قال الأسدي، ولعله المرار الأسدي:

ولستُ بضَاويّ تموجُ عظامُه ولادتُهُ في خالد بعد خـالد
تَقَارَبُ مـن آبائـه أمهاتُه إلى نَسَب أدنى مِن الشِّبْر واحد
بنو أخوات أنكحوهن إخوة مُشَاغَرَة، فالحي للحي والـد[٢٠٠]

على أن الكميتَ بن زيد الأسدي لا يرى في ذلك بأسا، فهو القائل، وكان له أمّان من قبيلة غني:

أنا ابنُ غَنيّ والـداي كلاهمـا لأمَّيْن منهم في الفروعِ وفي الأصل[٢٠١]

الفخر بالأمهات

يفخر العرب بأمهاتهم كما يفخرون بآبائهم، فالأمهات شطر نسب الرجل وجانب من جوانب ذاته وتكوينه، فإذا كرم آباء المرء وكرمت أمهاته فقد حاز النجابة من طرفيه. وحين نقرأ في أشعار العرب وآثارها نجد أنهم ربما ذكروا أمهاتهم مع ذكرهم آباءهم في معرض المفاخرة والمباهاة، وربما ذكروا أمهاتهم دون ذكر آبائهم. فمن أمثلة ذكر الأمهات مع ذكر الآباء قول الشنفرى الأزدي:

---

(١٩٨) الأصفهاني، *الأغاني*، ١٠: ٣١٨؛ وابن قتيبة؛ *الشعر والشعراء*، ١: ٣٤٨؛ *وعيون الأخبار*، (القاهرة: *دار الكتب المصرية*، ١٣٤٣- ١٣٤٩هـ)، ٤: ١٣. وروي البيتان الأولان للأعور الكلبي، فأجابه الكميت بن زيد الأسدي:

يا كلب مالك أم من بني أسـد معروفة فاحترق يا كلب بالنـار

(١٩٩) ابن منظور، *اللسان*، (ضوا).

(٢٠٠) الجاحظ، *البرصان والعرجان*، ٢٤، ٣٧٩.

(٢٠١) ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ٦: ٤.

أنا ابنُ خيَار الحُجر بيتا ومنصبا وأمي ابنةُ الأحرار لو تعرفينها
أليس أبي خيرُ الأواسِ وغيرها وأمي ابنةُ الخيرينَ لو تعلمينها[٢٠٢]

وقول السموأل بن عادياء:

صَفَوْنا فلم نَكْدُرْ وأخلص سرّنا إناثٌ أطابتْ حَمْلَنا وفُحُولُ[٢٠٣]

وقول زيادة بن زيد الذبياني:

فَمَا إنْ ترى في الناسِ أما كأمنا ولا كأبينا حين نَنْسِبُه أبا[٢٠٤]

وقول حسان بن ثابت:

أنا ابنُ خلدةَ والأغَرِّ ومالكٍ وساعده[٢٠٥]

وقول جَعْدة بن هُبيرة بن أبي وَهْب القرشي:

أبي من بني مَخْزوم ان كنتَ سائلا ومن هاشمٍ أمي لخيرِ قَبِيْل[٢٠٦]

وقول حُريث بن مُخَفِّض التميمي:

ألم تَرَ قَوْمي إنْ دُعُوا لملمة أجَابوا وإن أغْضَبْ على القومِ يَغْضَبوا
بني الحربِ لم تقعدْ بهم أمهاتُهُمْ وآباؤهم آباء صدق فأنْجبوا[٢٠٧]

وقدم عمرو بن سلمة الأرحبي مع محمد بن الأشعث على معاوية، في الصلح بينه وبين الحسن بن علي، فرآه معاوية جميلا جهيرا، فقال له: منْ مضر أنت؟ فقال:

أبوتنا آباءُ صدق نَمَى بهمْ إلى المجد آباء كَرامُ العناصر
وأمّاتنا أكْرِمْ بهنّ عجائزا ورِثْنَ العلَى عن كابرٍ بعدَ كابر[٢٠٨]

---

(٢٠٢) الأصفهاني، *الأغاني*، ٢١: ١٨٠، ١٩٣.
(٢٠٣) *شعر السموأل*، تحقيق عيسى سابا (بيروت، مكتبة صادر، ١٩٥١م)، ١٣.
(٢٠٤) الأصفهاني، *الأغاني*، ٢١: ٢٦١.
(٢٠٥) *ديوانه*، ١: ٣٣٩.
(٢٠٦) ابن عبد البر، *الاستيعاب*، ١: ٢٤١.
(٢٠٧) ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ٢: ٦٤١؛ والبغدادي، *الخزانة*، ٦: ٣٣، ٣٤.
(٢٠٨) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٢٧.

أما ابن ميادة، فيفخر بأمه مع فخره بآبائه، مع أنها كانت أم ولد بربرية، ويزعم هو أنها فارسية، وفي ذلك يقول:

أنا ابنُ أبي سُلْمى وجديَ ظالمُ وأميْ حَصَانٌ حَصَّنَتْها الأعاجمُ
أليسَ غُلامٌ بين كسرى وظالمٍ بأكرمَ من نيْطَتْ عليه التَّمائمُ[٢٠٩]

وبلغ بلال بن جرير بن عطية أن موسى بن جرير كان إذا ذكره نسبه إلى أمه، لأنه ابن أم ولد، فيقول: قال ابن أم حكيم، فقال بلال:

يا رُبَّ خالٍ ليْ أغَرَّ أبلجا من آل كسرى يَعْتدي مُتَوَّجا
ليس كخال لك يُدعى عَنْبَجا[٢١٠]

وقال المكَّاء بن هُمَيم الرَّبَعي، وهو شاعر إسلامي

إني امرؤ منْ بني شَيْبانَ قد عَلمَتْ هذا القبائلُ، أميْ منهمُ وأبي[٢١١]

أما ذكرهم أمهاتهم دون آبائهم في معرض الفخر، فمنه قول عَنْبَسَةَ بن أبي سفيان يعاتب أخاه معاوية على تفضيله أخاه عتبة، لأن أمهما هند بنت عتبة بن ربيعة، وأمه غيرها:

فإنْ تَكُ هندٌ لم تلدني فإنني لبَيْضاءَ يَنْميها غَطَارِفَةٌ مُجْدُ
أبَوها أبو الأضياف في كل شَتْوةٍ ومأوى ضِعَافٍ لا تنوءُ منَ الجَهْد[٢١٢]

وقول الحصين بن الحمام:

دفعناكمُ بالحلْم حتى بَطِرْتُمُ وبالكفِّ حتى كان رفعُ الأصابعِ
فلما بلغنا الأمهات وجدتمُ بني عمكم كانوا كرامَ المضاجعِ

وكأنه يقول: نحن أكرم منكم أمهات.[٢١٣]

---

(٢٠٩) البغدادي، *الخزانة*، ١: ١٦٠.

(٢١٠) المبرد، *الكامل*، ٢: ٤٦٤. والعنبج: المنقبض الوجه السيء المنظر.

(٢١١) المرزباني، معجم *الشعراء*، ٤٧٧.

(٢١٢) الطبري، *تاريخ الأمم والملوك*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: دار سويدان، د.ت.)، ٥: ٣٣٣.

(٢١٣) ابن رشيق، *العمدة*، ٢: ٢٤.

وقول القَتَّال الكِلابي، وأمه عَمْرة بنت حُرَقة الكلابية، وذكرها في شعره فخرا بها:

لَقَدْ ولدتْني حُرَّةٌ رَبَعيَّةٌ من اللاء لم يَحْضُرْنَ في القيظ دَبْدَبا[٢١٤]

وقول عمرو بن الَقُباع بن عوف بن القعقاع بن مَعْبد بن زُرارة:

أنا القُباع وابن أم الغمر إن كنتَ لا تدري فإني أدْري[٢١٥]

وقول سالم بن دارة، ودارة أمه:

أنا ابنُ دارةَ معروفا بها نسبي وهل بدارةَ يا للنَّاس منْ عار[٢١٦]

وقول ابن الغريزة النهشلي، والغريزة أمه أو جدته، سبية من بني تَغلب:

أنا النَّهْشَليُّ ابنُ الغريزة فادعُني أجبْكَ وإن أنكرتَ صوتيَ فاعرف[٢١٧]

وحين أغارَ عنترة على بني نبهانَ من طيءٍ، وكان زيد بن جابر النبهاني في فتوة، فرماه، وقال: خذها وأنا ابن سَلْمى، فقال عنترة:

وإن ابنَ سَلْمى عنده فاعلموا دمي وهيهاتَ لا يُرجى ابنُ سَلْمى ولا دمي[٢١٨]

على أن بعضهم ربما تجانف عن الفخر بالآباء والأمهات وفخر بنفسه وبخصاله التي ساد بها قومه، كما قال عامر بن الطفيل:

إنيْ وإنْ كنتُ ابنَ سيد عامر وفارسَها المشهورَ في كل مَرْكَب
فما سَودتني عامرٌ عن وِراثَة أبى اللهُ أن أسمو بأمٍ ولا أب[٢١٩]

---

(٢١٤) الأصفهاني، *الأغاني*، ٢٤: ١٦٩. وذبذب: ركية في ديار بني أبي بكر بن كلاب. ولعله يريد أنها مصونة لم تذهب إلى هذه الركية.

(٢١٥) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٢٨.

(٢١٦) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ١١٦؛ والبغدادي، *الخزانة*، ٣: ٢٦٥.

(٢١٧) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٣٤٩.

(٢١٨) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ٩٩؛ و الأصفهاني، *الأغاني*، ٨: ٢٤٥.

(٢١٩) الجاحظ، *الحيوان*، ٢: ٩٥؛ والمبرد، *الكامل*، ١: ١٤٠؛ وابن منقذ، *لباب الآداب*، ١٨٥.

المدح بالأمهات والهجاء بهن

قبيلة الرجل وطرفاه من أبيه وأمه موضع المدح والهجاء في المجتمع العربي الذي كان يقوم على العصبيات القبلية والعناية بالأنساب والأحساب. والناظر في أشعار العرب وأخبارها يرى أن العرب قد عنيت كل العناية بأنسابها، فمدائحهم وأهاجيهم ومفاخرهم ومنافراتهم ومساجلاتهم قائمة على هذا الجانب في حياتهم وفي ثقافتهم. ولهذا قال الفُلاخ ابن حَزْن التميمي الراجز:

ولا تعترضْ للشرِّ من دون أهله إذا كنتَ خلْوا عن أذاه بمعزل
ومن يق أعراضَ الرجال بعرضه يُبحْ مَحْرماً من والديه ويَجْهَلِ[٢٢٠]

أما ابن مَيَّادة، الرَّماح بن يزيد، وكانت أمه ميادة أم ولد، فكان يضرب جنبي أمه ويقول لها:

اعْرَنْزمي مَيَّادَ للقَوافي

يريد أنه يهجو الناس فهم يهجونه ويذَكرون أمه.[٢٢١]

فأما المدح بالأمهات، فهو غير قليل عند العرب، وقد ينسب الرجل إلى أمه في معرض المدح وسياق الثناء. ومن أمثلة ذلك قول حسان بن ثابت لجبلة بن الأيهم، وقد سأله أين هو من النعمان بن المنذر: والله لشمالك خير من يمينه، ولقفاك أحسن من وجهه، ولأمك أكرم من أبيه.[٢٢٢] وقد رويت أبيات في هذا المعنى نسبت لحسان تارة وللنابغة الذبياني أخرى:

ونُبئْتُ أن أبا مُنْذر يُساميكَ للحدث الأكبر
فذَالك أحسنُ من وجههِ وأمكَ خيرٌ من المَنذرَ[٢٢٣]

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمي في بني المغيرة:

---

(٢٢٠) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ١٠١.

(٢٢١) ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ٢: ٧٧١. واعرنزم: تَجمَّع وتَقبَّض.

(٢٢٢) الجاحظ، *البرصان والعرجان*، ٥٨٤.

(٢٢٣) *ديوان حسان*، ١: ٤٨٩؛ والأصفهاني، *الأغاني*، ١٥: ١٦١.

ألا للَّـه قـــومٌ و لَدَتْ أختُ بني سَهْم[٢٢٤]

وكانت أم بني المغيرة رَيْطة بنت سَعْد بن سَهْم.

وقول عبد الله بن الزبعرى أيضا يمدح العاص بن وائل السهمي:

ذلكَ العاصُ بنُ سَلْمى إنه رَفَعَ الذِّكْرَ فَقُلْ فيه وزدْ[٢٢٥]

وسلمى: هي أم العاص بن وائل، وكانت من بلي، من قضاعة. وقولَ دريد بن الصمة في شأن ربيعة بن مُكَدَّم الكناني:

يا ليتَ شعري مَنْ أبوه وأمه يا صاحِ من يكُ مِثْلَه لَمْ يُجهلِ[٢٢٦]

وقول حسان بن ثابت يمدح أولاد جفنة الغسانيين:

أولادُ جَفْنةَ حول قبر أبيهمُ قبر ابن ماريةَ الكريمِ المُفْضل[٢٢٧]

وقول الحارث بن حلِّزة يمدحَ الملك قيس بن شَراحيل بن همام بن ذهل بن شيبان، ونسبه إلى أمه مارية بنت الصبَّاح بن شيبان:

فَهلا سعيتَ لصلحِ الصديـ ـقِ كسعي ابنِ ماريةَ الأقْصَم[٢٢٨]

وقوله أيضا:

فإلى ابنِ ماريةَ الجواد وهـل شَرْوى أبي حَسّانَ في الإنْس[٢٢٩]

وقول حُذيفة بن غانم العَدَوي:

وأمكَ سـرٌ من خُـزَاعة جَوْهَـرٌ إذا حَصَّلَ الأنسابَ يوما ذوو الخُبْرِ

إلى سبأ الأبطالِ تُنْمى وتَنْتَمـي فأكرمْ بها منسوبة في ذُرا الدهـرِ

---

(٢٢٤) ابن دريد، *الاشتقاق*، ٩٨، ١٢٢؛ والأصفهاني، *الأغاني*، ١: ٦٢.

(٢٢٥) ابن حبيب، *المنمق*، ٣٤٥.

(٢٢٦) الأصفهاني، *الأغاني*، ١٦: ٦٦؛ وابن منقذ، *لباب الآداب*، ٢١١.

(٢٢٧) ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ١: ٣٠٥؛ والميداني، *مجمع الأمثال*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، د.ت.)، ١: ٤١٠. وابن مارية: هو الحارث الأعرج ابن أبي شمر الغساني، ومارية: هي ابنة ظالم بن وهب.

(٢٢٨) الأصفهاني، *الأغاني*، ١١: ٤٤. والأقصم: المكسور الثنية من النصف.

(٢٢٩) المفضل، *المفضليات*، ١٣٣؛ والجاحظ، *البرصان والعرجان*، ٣١٥، ٣١٦. والشروي: المِثْل.

قال ابن هشام: أمك سر من خزاعة؛ يعني أبا لهب، أمه لبنى بنت هاجر الخزاعي.[٢٣٠] وقول حسان يمدح الزبير بن العوام:

وإن امرءا كانتْ صفيةُ أمَّهُ ومنْ أسَد في بيتها لَمُرَفَّلُ
له من رسول الله قُربى قريبةٌ ومَن نصرةُ الإسلام نَصْرٌ مؤثَّلُ
ثناؤك خيرٌ من فَعَال مَعَاشر وفعلكَ يا ابنَ الهاشمية أفضلُ[٢٣١]

وكانت صفية بنت عبد المطلب، عمةَ رسول الله، ﷺ، أم الزبير. وقول أوس بن حَجَر يمدح حاتم الطائي:

أمّكَ حرْميَّةٌ مهذبةٌ طابتْ له الأمهاتُ والولدُ[٢٣٢]

وكان بشر بن أبي خَازم الأسدي هجا أوس بن حارثة الطائي، ولما جيء به إليه استشار أمه في شأنه، فقالت: أرى أن ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه، فقال له أوس: إن أمي سعدى التي كنت تهجوها قد أمرت فيك بكذا وكذا، فقال: لا جرم والله لا مدحت أحدا غيرك، وفيه يقول:

إلى أوْس بن حارثةَ بن لأم ليقضيَ حاجتيْ فيمن قَضَاها
فما وطِئَ الثرى مثلُ ابن سُعْدى ولا لَبِسَ النِّعَال ولا احْتَذَاها[٢٣٣]

وخرج بشر بن مروان متنزهًا فعارضه نصيب، فلما ناكبه ناداه:

يا بشْرُ يا ابنَ الجعفرية ما خَلَقَ الإلهُ يديك للبخل
جاءت به عُجُزٌ مُقَابَلَةٌ ما هُنَّ من جَرْمٍ ولا عُكْلِ[٢٣٤]

وقال نهيكة بن الحارث المازني:

---

(٢٣٠) ابن هشام، *السيرة النبوية*، ١: ١٨٧، ١٨٨.

(٢٣١) *ديوان حسان*، ١: ٤٣٤؛ والأصفهاني، *الأغاني*، ٤: ١٤٥.

(٢٣٢) أبو عبيدة، *الديباج*، تحقيق عبد الله الجربوع وعبد الرحمن العثيمين، ط١ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩١م)، ٢٥.

(٢٣٣) *ديوان الحطيئة*، ٨٦؛ والبغدادي، *الخزانة*، ٤: ٤٤٤.

(٢٣٤) الأصفهاني، *الأغاني*، ١: ٣٣٤. والعُجُز: جمع عجوز، ويريد بهن أمهاته وجداته، والمقابلة: الكريمة النسب من قبل أبويها.

لا يُبْعِـدُ اللـهُ ربُ العبـــــــا د والمِلْـح ما ولـدتْ خالـــده
هم المَطعمو الضيفَ شَحْمَ السنا م والقَاتلُـو الليلـةَ البَـاردة[٢٣٥]

ومدح الحَزِيْن الدِّيْلي طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وكان من أجواد قريش، فقال:

وأمكَ بيضـاءُ تيميـةٌ إذا نُسبَ الناسُ كانوا نُضَارا

وأراد بالتيمية: أمه عائشة بنت طلحة، وكان تزوجها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر.[٢٣٦]

وقال الضَّحَّاك بن هَنَّام الشاعر لحُضَيْن بن المنذر الرَّقَاشي:

وأنتَ على ما كان فيكَ ابنُ حُرَّة أبيٌّ لما يَرْضَى به الخَصْمُ مَانـع[٢٣٧]

ولما أتى ابن عباس نعي معاوية، قال: لله در ابن هند، ما كان أجمل وجهه، وأكرم خلقه، وأعظم حلمه.[٢٣٨] وقال كعب بن جعيل الشاعر في شأن الخصومة بين علي ومعاوية، رضي الله عنهما:

فقالـوا عَلـيٌّ إمَـامٌ لنـا فقلنا رضينا ابنَ هنْد رضينا[٢٣٩]

وقال عبد الله بن أبي وَدَاعَة السهمي يمدح سعد بن عمرو السَّهمي القرشي:

وأكْرِمْ به تحتَ السـماء أبُـوَّة وأمْجَدَ أما عُطِّفَـتْ بعطَاف
وذاكَ ابنُ نُعْمٍ شاد غيرَ مكلف ولكنْ بأفْضَال وفَضْـلٍ عَفَـاف[٢٤٠]

ونُعْم: هي أم سعد وسعيد ابني سهم بن عمرو، واسمها نعم بنت كلاب بن مرة.

---

(٢٣٥) البغدادي، *الخزانة*، ٩: ٥٣٣. والملح: هنا البركة، وخالدة: هي بنت أرقم، أم كردم وكريدم ابني شعبة الفزاريين.

(٢٣٦) الأصفهاني، *الأغاني*، ١١: ١٨٠. والنضار: الذهب أو الفضة، وقيل الخالص من كل شيء.

(٢٣٧) ابن دريد، *الاشتقاق*، ٣٥٠.

(٢٣٨) الأصفهاني، *الأغاني*، ١٧: ٢١٣.

(٢٣٩) المبرد، *الكامل*، ١: ٢٨٢.

(٢٤٠) أبو هلال، *الأوائل*، ١: ٩٤.

أما الهجاء فهو كالمدح، يكون هجاء بالأمهات، وقد يكون بنسبة الرجل إلى أمه في معرض هجائه، لتنقصه والنيل منه. وقد سبق أن ذكرت في صدر هذا البحث أن كل قول يؤخذ من سياقه، فنسبة الرجل إلى أمه في مقام المدح مدح، وفي مقام الهجاء هجاء. قال المتلمس الضبعي:

يُعَيرني أمي رجالٌ ولن ترى أخا كَرَمٍ إلا بأن يَتَكَرَّمـا[٢٤١]

وروي أن أم الخطاب بن نفيل، واسمها حية، كانت أمة لجابر بن حبيب الفهمي، وأن ثابت بن قيس بن شماس عير عمر بن الخطاب، فقال له: يا ابن السوداء، فأنزل الله تبارك وتعالى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴿١١﴾﴾. [٢٤٢] وفي الحديث النبوي أن النبي، ﷺ، قال لأبي ذر، وقد عير رجلا بأمه: إنك امرؤ فيك جاهلية. [٢٤٣]

ولعل من أقذع الهجاء أن يوصف العربي بأنه هجين، والهجين هو الذي أبوه عربي وأمه أعجمية، في مجتمع قائم على العصبيات القبلية وعلى الاعتداد بالأصول والأعراق - كما أسلفت القول - وهذا المجتمع يجعل لأبناء الحرائر مزية لا يدانيها أبناء الإماء، وإن كان آباؤهم من أشراف القوم وسراتهم. قال ابن أم حزنة، وهو ثعلبة بن حَزْن بن زيد:

نَهَيْتكُـمُ أن تَحْمِلُـوا هُجَنَاءكـمْ على خيلكم يومَ الرِّهانِ فَتُدْرِكُوا[٢٤٤]

وقال حسان بن ثابت يهجو أبا سفيان بن الحارث:

ولستَ كعبـاسٍ ولا كابنِ أمِّه ولكنْ هجينٌ ليس يُورى له زَنْدُ[٢٤٥]

وقال فيه أيضا:

وإنَّ سنامَ المجدِ من آلِ هاشـمٍ بنو بنتِ مَخْزومٍ ووالدكَ العبدُ

---

(٢٤١) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٠٧.

(٢٤٢) ابن حبيب، *المحبر*، بعناية إيلزة ليختن شتيتر (حيدر آباد، الهند: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٤٢م)، ٣٠٦. والآية من سورة الحجرات، رقم ١١.

(٢٤٣) ابن حجر، *فتح الباري*، ١: ٨٤.

(٢٤٤) ابن حبيب، *من نسب إلى أمه*، ١: ٩٢.

(٢٤٥) *ديوانه*، ١: ٣٩٨.

ومَنْ ولدتْ أبناءُ زُهْرَةَ منكمُ كرامٌ ولمْ يَلْحَقْ عجائزكَ المَجْدُ
وإن امرءا كانتْ سُمَيَّةُ أمَّهُ وسمراءُ مغلوبٌ إذا بَلَغَ الجَهْدُ(٢٤٦)

وسُمية: أم الحارث بن عبد المطلب، وسمراء: أم أبي سفيان، وكل منهما أم ولد.

وقال حسان أيضا في هجاء قيس بن مَخْرَمة بن المطلب قبل أن يسلم:

لقد كان قيسٌ في اللئـــام مرددا عُصارةُ فرخ معدن اللـؤم ماكد
ولادةُ سَـوْء من سُـــمَيَّة إنها أمية سَـوْء مَجْدُهَـا غيرُ تَالـدَ
فجاءت بقيسٍ ألأمَ الناس مَحْتدا إذا ذُكرتْ يوما لئـامُ المحاتـدَ(٢٤٧)

وأم قيس: أسماء بنت عبد الله بن مَسافِع، وهي سبية، وكان قيس يسب بها.

وقال حسان أيضا يهجو سهيل بن عمرو بن عبد شمس:

وأمهُ خَـرْبَةُ الأذنين أهْلَكَهَـــا حُبُّ السِّفاد لدى الركبان والعارُ
كانت ولادةَ سَوْء ما لها نَسَـبٌ لا في مَعَدّ ولا في الحي أصْهَارُ(٢٤٨)

وقال عُمَارة بن الوَليد بن المغيرة يجيب عمرو بن العاص عن شعر خاطبه به، وكانت أم عمرو - كما سلف - سبية من عَنَزَة:

كَمْ مثْل أمكَ قد وهبتُ فَلَمْ منها أثِبْ سَهما ولا زَنْـدا
حُبْلَى فَإن تُؤنثْ تَكُـنْ أمـة لَكْعَاءَ أو تُذْكرْ يكن عَبْـدا(٢٤٩)

وقال جرير في هجاء الفرزدق:

إذا قيلَ مَنْ أمُّ الفـرزدق بَيِّنَـتْ قُفَيْرَة منه في القَفَـا واللَّهَـازم
قُفَيْرَة من قنّ لسُلْمى بنَ جَنْدَل أبوكَ ابنُها وابنُ الإمَاء الخَوَادَم(٢٥٠)

وقال الفرزدق لآل الأهتم، وكانتْ أم سنان الأهتم المنقري سَبيَة من الحَيرة، يقال إنها سبيت وهي حامل:

---

(٢٤٦) الأصفهاني، *الأغاني*، ٤: ١٤١، ١٤٢.

(٢٤٧) *ديوانه*، ١: ٣٨١.

(٢٤٨) *ديوانه*، ١: ٤١٨.

(٢٤٩) المرزباني، معجم *الشعراء*، ٢٤٦.

(٢٥٠) أبو عبيدة، *النقائض*، ٢: ٧٦٧. وقفيرة بنت سكين: أم صعصعة جد الفرزدق، وكانت أمها أمة وهبها كسرى لزرارة.

مَا الهُتْمُ إلا أعْبُدٌ جاحظو الخُصَى بَنُو أمَة كانتْ لقيس بن عاصم[٢٥١]

ومن الهجاء بالأمهات أيضا قول عمرو بن عبدود الكلبي يمدح سعيد بن العاص وأمه من بني عامر بن لؤي، ويهجو عبد الله بن خالد بن أسيد، وأمه ثقفية:

قَصَّرتَ يا عبدَ الإله عن العُلى سيكفيكَ ما قصَّرتَ عنه سعيدُ

فتى أمه من آل حسْل كريمةٌ وأمكَ يَنْميهَا بوَجّ عَبيْدُ[٢٥٢]

وقول عمرو بن كلثوم يهجو النعمان بن المنذر، ويعيره بأمه سُلَيمى:

حَلَّت سُلَيمى بخَبْت بعد فرْتاج وقد تكونُ قديما في بني نَاجِ

إذ لا تُرَجِّي سُلَيمى أنْ يكونَ لها مَنْ بالخَورنَق من قَيْنٍ ونسَّاجِ

تَمْشي بعدْلَيْن من لُؤْم ومنقصة مَشْيَ المقيد في اليَنْبُوْتِ والحَاجِ[٢٥٣]

وقال عقيل بن عُلَّفة المري يخاطب بنيٍ إخوته:

وَلَوْ كُنْتُم لُكَيْسة أكَاسَتْ وكَيْس الأم كَيْس للبنينا

ولكنْ أمُّكُمْ حَمُقَتْ فجئتم غثاثا ما نَرى فيكم سَمينا[٢٥٤]

وقال حسان بن ثابت يهجو عبد الله بن الزبعرى:

إذا عُدَّ الأطائبُ من قريش تُقَاعدُكُمْ إلى المخزاة حَامُ

قُسَامةَ أمكم إن تَنْسبُوها إلى نَسَب فتَأنَفُه الكَرَامُ[٢٥٥]

وقال عبد الله بن فضالة الأسدي، وقد انصرف من عند عبد الله بن الزبير:

فَمالي حينَ أقطعُ ذاتَ عرْق إلى ابن الكَاهليَّة منْ مَعَاد

وكانت الكاهلية جدة من جدات عبد الله بن الزبير، وقد قال عبد الله بن الزبير حين بلغه

---

(٢٥١) ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ٢: ٦٣٢.

(٢٥٢) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٣٨، ٢٣٩.

(٢٥٣) الأصفهاني، *الأغاني*، ١١: ٥٨، ٥٩. واليَنبوت: نبات ذو شوك. والحاج: الشوك أو ضرب منه.

(٢٥٤) البغدادي، *الخزانة*، ٤: ٤٧٩.

(٢٥٥) *ديوانه*، ١: ٣٣٦.

الشعر: علم أنها شر أمهاتي فعيرني بها، وهي خير عماته. ولو علم أن لي أما الأم من عمته لسبني بها.(٢٥٦)

وقال جرير يهجو عُمَر بن لجأ التيمي:

أنْتَ ابنُ بَرْزَةَ منسوبٌ إلى لجأٍ عند العُصَارة والعيدانُ تُعْتَصَرُ(٢٥٧)

وقال يهجو البعيث المجاشعي:

ألَمْ تر أني قد رميتُ ابنَ فَرْتَنَى بصَمَّاءَ لا يرجو الحياةَ أمَيْمُهَا
له أمُّ سَوْءٍ بئسَ ما قدمتْ لَهُ إذا فَرَطُ الأحسَابِ عُدَّ قديمُها(٢٥٨)

أما الأعور النبهاني فقال يهجو جريرا:

ألستَ كُلَيبياً وأمكَ كَلْبَةٌ لها حَوْلَ أطنابِ البيوتِ هَرِيرُ(٢٥٩)

فهجاه جرير بقوله:

ألستَ ابن نَبْهانية طَالَ بَظْرُها وباعُ ابْنِهَا يومَ الحفاظ قَصِيرُ(٢٦٠)

وكان الشعراء في هجائهم بالأمهات ربما قَذفوا في الأعراض وطعنوا في الأنساب على نحو ما نرى عند الجميح الأسدي في هجاء بني عامر، وقد غدروا بأسدي منهم وقتلوه، فقال يعيرهم بما غدروا، مفديا أمهم سَلْمى استهزاء بهم لما ألحقوا بها من العار، ثم عاد فادعى عليها البغاء:

سَائلْ مَعَدا من الفوارس لا أوْفَوا بجيرانهم ولا غَنِمُوا
فدى لَسَلْمى ثوباي إذ دَنسَ الـ ـقومُ وإذ يَدْسُمُون ما دَسَمُوا
أنتمْ بنو المرأةِ التي زَعَمَ الـ ـناسُ عليها في الغَيِّ ما زَعَموا

---

(٢٥٦) الأصفهاني، *الأغاني*، ١٦:١؛ ٧١:١٢؛ وابن الكلبي، *جمهرة النسب*، ٦٨، ٦٩؛ والميداني، *مجمع الأمثال*، ١٩٩:١؛ والبغدادي، *الخزانة*، ٦٢:٤.

(٢٥٧) ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ٦٨١:٢. وبرزة: هي أم عمر بن لجأ التيمي.

(٢٥٨) الأصفهاني، *الأغاني*، ١٧:٨.

(٢٥٩) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ٣٩، والمرزباني، *معجم الشعراء*، ٢٥٣.

(٢٦٠) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ٣٩.

م استرسل يصمها بأبشع الصفات.[٢٦١]

وقال حسان يهجو بني عابد بن عبد الله بن عمر بن مخروم:

فَاشْهَدْ أَنَّ أُمَّكَ مِلْغَـــايا وأن أباك منْ شَرِّ العباد[٢٦٢]

وقال أيضا في مَخْرمة بن المطلب وأبي صَيْفي القرشيين:

إذا ذُكرتْ عَمِيلَةُ بالمخـازي تقنَّعَ من مخازيها اللثامُ

أبو صيفي الذي قد كان منها ومخرمةُ الدَّعيُّ المستهامُ

إذا شُتموا بأمهـمُ تولـــوا سراعا ما يُبين لهمْ كَلام[٢٦٣]

وقال الحطيئة للفرزدق، وقد سمعه ينشد شعرا أعجبه: أنْجدتْ أمك، قال: بل أنجد أبي، فنظم جرير ذلك ونعاه عليه، وقال:

كان الحطيئةُ جارَ أمكَ مـرة واللهُ يعلم شأنَ ذاك الجار

لا تفخرنَّ بغالب ومحمـد وافخر بعبس كُلَّ يوم فَخَّار[٢٦٤]

وقد رمى ضابئ بن الحارث البرجمي أم أناس من العرب بالكلب، فقال:

فأمكُمُ لا تتركوها وكَلْبَكُمْ فإن عقوقَ الوالدات كبير[٢٦٥]

وثمة نماذج كثيرة من هذا اللون من الهجاء المقذع الذي يحسن تركه واطراحه وتجنب الاستشهاد به لما فيه من الفحش والإسراف.[٢٦٦]

هجاء الأبناء للأمهات

ربما هجا بعض العققة من الأبناء أمهاتهم، وهو نحو من الهجاء غريب ونادر، إذ لا يجد له شواهد معدودة في كتب التراث، ولا يمكن أن يصدر مثل هذا الهجاء إلا عن

---

(٢٦١) المفضل، *الفضليات*، ٤١، ٤٢. والشام: بالكسر، هو ما يداوى به الجرح والقارورة ومحرهما.

(٢٦٢) *ديوانه*، ١: ٢٥٨.

(٢٦٣) *ديوانه*، ١: ٣٠٨.

(٢٦٤) ابن رشيق، *العمدة*، ١: ٧٩.

(٢٦٥) الجاحظ، *الحيوان*، ١: ٣٧٠.

(٢٦٦) انظر أبا فراس الحمداني، *الفاتك*، ١: ١٢١، ١٢٣، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٩، ٢٠١، [illegible]

نفوس بائسة تمردت على فطرتها ونزعت إلى سبيل من الثورة على المألوف بدوافع نفسية شاذة ومريضة، وإلا فإن مقام الأم - فضلا عن الأب - يقتضي من الأسوياء البر والتعظيم والاعتراف بالجميل. ومن أمثلة هجاء الأبناء أمهاتهم قول الحطيئة في أمه:

جَزاك اللهُ شـــرا من عَجـُوز ولقاك العقـوقَ من البنينـا
تَنَحَيَ فاقعـدي عنا بعيـــداً أراح اللَـهُ منـك العالَمينـــا
حياتك ما علمتُ حَيَاةَ سـُوء وموتُك قد يَسُرُّ الصالحينا
أغربالاَ إذا اســتودعت سـرّاً وكانـوناَ علـى المتحـدثينـا[٢٦٧]

وقول الخَلَيْع السَّعْدي التميميَ:

ألاَ ليتَ أمي لم تكـنْ عَاصمـيَّة وكان أبي صيابـة الزِّنْـج يَمما
تَدَعَّى إلى فهْر، ولو كنتَ منهم لَمَا كَانَ عقدانٌ لبيتـك مَجْثَمـا[٢٦٨]

ومنهم مَعْبد بن قُرْطَ العبدي، هجا أمه فقال:

يا ليتَ ما أمنّا شـالتْ نعامتُهـــا إمّا إلـى جنـة أو مـا إلـى نَـــار
ليستْ بشَبْعَى ولو أنزلتها هَجَرا وَلا بريا ولـــو حَلَّـتْ بذي قَـارَ
خرقاءُ بالخير لا تُهْدَى لوجهتــه وهي صَنَاعُ الأذى في الأهلِ والجارَ[٢٦٩]

ومن هؤلاء الهجائين العقفة الطمحاء الطائي، هجا أمه فقال:

يا أمّ لا رفأتْ عينٌ بكيت بها ولا جرتْ لكمُ الطير الميامـينُ
لما أتيتُ بها الأعرابَ أدفَنُهَـا أهُونْ عليَّ بشخص ثَمَّ مدفونُ[٢٧٠]

على أننا نجد للأمهات، بَل وللآباء، مواقف معبرة ودالة في مثل هذه المواقف من الأبناء، وهي معبرة عن معاناة إنسانية ذات خصوصية مميزة، ودالة على ألم من جرح غائر

---

(٢٦٧) *ديوان الحطيئة*، ٢٧٧؛ وابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، ١: ٣٢٣. والكانون: النمّام، وقيل: الثقيل.

(٢٦٨) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ١١٣.

(٢٦٩) أبو عبيدة، *العقفة والبررة*، *نوادر المخطوطات*، ٢: ٣٦٤، ٣٦٥. وشالت نعامتها: كناية عن الموت.

(٢٧٠) أبو عبيدة، *العقفة والبررة*، ٢: ٣٦٦، ٣٦٧.

في أعماق النفس من هذا العقوق الذي يقابل به الأبناء حدب الآباء وعطفهم وتضحياتهم. ومن ذلك ما قالته أم ثواب الهزانية في ابنها، وكانت امرأته تغريه بها في السر، وتسمعها في العلن: مَهلا عن أمنا فإن لنا فيها حاجة:

رَبَّيتهُ مثلَ فَرْخِ السَّوء أعظَمُه ... أمّ الطَّعَام ترى في جلْده زَغَبا
حتى إذا عادَ كالفُحّالَ شَذَّبَهُ ... أبَّاره ونفَى عن مَتْنَه الشَّذَبا
أمسى يمزِّق أثوابي ويضربني ... أبعد شيبيَ عندي تبتغي الأدَبا
إني لأبْصرُ في ترجيل لمته ... وخطِّ لحيته في خَدِّه عَجَبا
قالت له عرْسُه يوما لتُسْمعنيَ ... مَهْلا فإنّ لنا في أمنا أربا
ولو رأتنيَ في نار مُسَعَّرة ... ثُمَّ استطاعتْ لزادت فوقه حَطَبا[٢٧١]

أما صخر بن عمرو بن الشريد، أخو الخنساء فهو على النقيض من موقف ابن الهزانية، إذ يرى فرقا كبيرا وبونا شاسعا بين عطف الأم وحنانها وهجران الزوجة وصدودها وملالتها، يقول:

أرى أمَّ صخر ما تَجفُّ دموعُهَا ... ومَلَّتْ سُلَيمى مَضْجَعي ومَكَاني
فأي امرئ ساوى بأمَّ حليلة ... فلا عاشَ إلا في شَقا وهَوَان[٢٧٢]

أما المنازل بن الأعرف، فيتشكى ابنه، ويذكر أمه وندمه على اختياره لها، إذ ولدت له ابنا عاقا:

تَظَلَّمَني مالي خَليجٌ وعَقني ... على حينَ كانتْ كالحنيّ عظَامي
وكنتُ أرَجّي الخيرَ منه وأمه ... حَرَاميَّةٌ ما غَرَّني بحَرَام
تخيرتُها فازددتُها لتَزيْدَني ... وما بَعضُ ما يُزداد غَيْرُ غَرام[٢٧٣]

وكان للعجير السلولي ابن، وفيه يَقول، وذكر أمه وما كان من اختياره لها:

---

(٢٧١) أبو عبيدة، *العققة والبررة*، ٢: ٣٦٣، ٣٦٤. وأم الطعام: كناية عن البطن. والفحال: فحل النخل.

(٢٧٢) الأصمعي، *الأصمعيات*، ١٤٦؛ والميداني، *مجمع الأمثال*، ٢: ٤٨٣.

(٢٧٣) الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، ٥١؛ وأبو عبيدة، *العققة والبررة*، ٢: ٣٦٢. والحني: جمع حنية، وهي القوس. وحرامية: من بني حرام.

ولقد وَضَعْتُكَ غيرَ مُتَّرَك من جابر في بيتها الضخم
واخترتُ أمَّكَ من نسائهمُ وأبوكَ كلُّ عَذَوَّرٍ شَهْم[٢٧٤]

النسبة إلى الأمهات في مواطن الرثاء

ربما نسب الرجل إلى أمه في مواطن الرثاء، وهو نحو من أساليب العرب في التلطف والتحبب، والتعبير عن لوعة الفقد ومرارة الفراق. فهذا أرطاة بن سُهَيَّة يرثي ابنه عمرًا ونسبه إلى أمه في معرض الرثاء:

ووقفتُ على قبر ابن سَلْمى فلم يكن ووقوفي عليه نَبْرَ بكى ولا جَزَع
هل انتَ ابنَ سَلْمى إن نظرتُكَ رائحٌ مع الركب أو غادٍ غَداةَ غد معي
أأنسى ابنَ سلمى وهو لم يأت دُونَه من الدهر إلا بعضُ سَيْف ومَرْبَع[٢٧٥]

ونحوه قول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك:

أفبعدَ مَنْ ولدتْ نُسيبة أشتكي زَوَّ المنيةِ أو أُرى أتوجَّع[٢٧٦]

وقوله أيضا:

وكلُّ فتى في الناس بعدَ ابن أمه كساقطة إحدى يديه من الخَتْل[٢٧٧]

وقال غلفاء بن الحارث الكندي يرثي أخاه شرحبيل بن الحارث:

يا ابن أمي ولو شهدتُكَ والخيـ ـلُ تَعادَى إليك عَدْوَ الذئاب،
لضربتُ الكُماةَ حولكَ حتى تبلغَ الرَّحبَ أو تُزَلَّ ثباتي[٢٧٨]

وقال النابغة الذبياني يرثي أخاه:

لا يَهْنِئ الناسَ ما يَرْعَون من كَلأ وما يَسُوقونَ من أهْلٍ ومن مال
بعد ابن عانكة الثاوي لدى أبَوَى أمسَى بلدة لا عمٌّ ولا خال[٢٧٩]

---

(٢٧٤) الأصفهاني، *الأغاني*، ١٣: ٧٠.
(٢٧٥) الأصفهاني، *الأغاني*، ١١: ٦.
(٢٧٦) المفضل، *المفضليات*، ٤٣. ونسبية: بلفظ الصغير، أمهما.
(٢٧٧) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٤٦٦. ونسب أخاه إلى أمه ... والخَتْل: خاتم اليد أو الرجل.
(٢٧٨) المرزباني، *معجم الشعراء*، ٤٦٧.
(٢٧٩) *ديوانه*، ١٨٨.

وقال أبو جندب الهذلي يرثي إخوته:

فقدتُ بني لُبنى فلما فقدتُهمْ ... صبرتُ فلم أقطَعْ عليهم أبَا جلي

حسانُ الوجوه طيِّبٌ حُجَزَاتُها ... كَرِيمٌ نَثَاهُمْ غير لف مَعَازِلَ[٢٨٠]

وبعد، فقد حاولت في هذا البحث أن أتلمس أسبابا أو أقارب تفسيرا للانتساب إلى الأم عند العرب، أو النسبة إليها، محاولا دحض مزاعم القائلين بوجود «نظام الأمومة» عند العرب، وما يستتبع هذا الزعم من الطعن في أنساب العرب وأصولهم، ورميهم بنقيصة اختلاط الأنساب واضطرابها، كما هو الحال في أمم أخرى بدائية وجد عندهم مثل هذا النحو من أنماط العلاقات الاجتماعية، مع أن أمة من الأمم، قديمها وحديثها - فيما نعلم - لم تعن بالأنساب عناية العرب بها. وهو دليل كاف على ثقة العرب بأصولهم وأعراقهم، وأنهم عرفوا من آبائهم وأمهاتهم في سلسلة أنسابهم ما لم يعرفه غيرهم ولم يدركه سواهم.

---

(٢٨٠) السكري، شرح أشعار الهذليين، ١: ٢٤٦.

The Practice of Taking the Name of the Mother among the Arabs: Approaches to Interpretation

Abdul Rahman A. Al-Debasi

Associate Professor, Department of Arabic Language, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. Originally, an Arab takes the name of his father, but we encounter in Arab biographical and genealogical books some men who were given the names of their mothers. Among them were kings, caliphs, scholars, poets and others. This practice, although it was found among the Arabs as is attested in this paper, does not compare in familiarity and widespread use with the former practice, i.e., "taking the name of the father." This has enticed some Orientalists to claim that the practice of maternal affiliation, which is based on the idea of not knowing the father, was found among the Arabs. This paper intends to rebut this claim, and to try to investigate some other approaches of interpretation and explanation of this kind of lineage affiliation.